

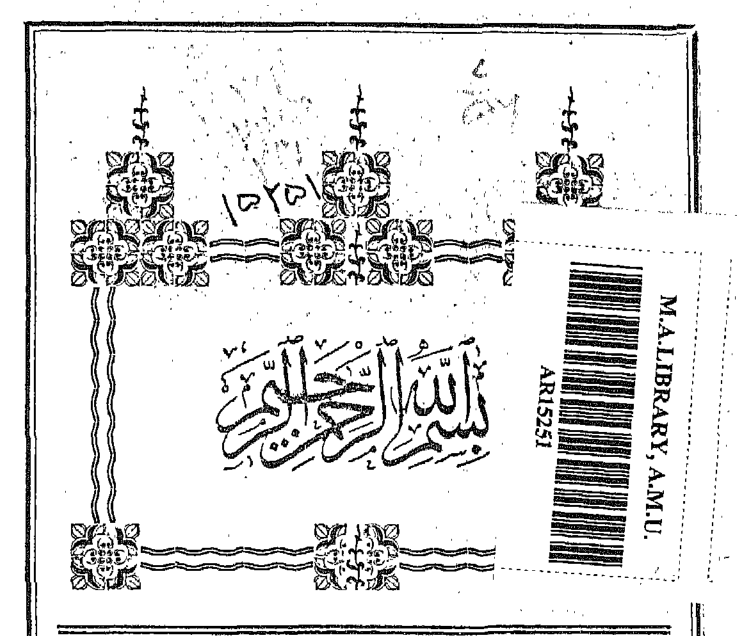
تتضمن البشارات الالهيّة * والبراهين العقلية
بقرب حصول السلام بين الانام

للفقير الى الله الغني (فرج الله
زكى الكردي)

﴿ تنبيه ﴾

حقوق الطبع محفوظة بخلاف الترجمة
فانها مباحة لمن يريدها ليعم نفعها

طبعت بمطبعة ﴿ كردستان العلمية ﴾ لمؤلفه
المذكور بمصر المحمية سنة ١٣٢٩ هجرية



حمداً لمن نوّر أفق العالم * بشعاع ساطع لامع على مطالع الامم * واصطفى هذا القرن المجيد * بظهور آيات التوحيد * وخصص هذا العصر النوراني * بظهور آثار عجزت عنها القرون الاولى في الاعصار الخوالى فانتشرت الحقائق * وأشرقت شمس الفنون والعلوم بين مشارق الارض ومغاربها * وتتابعت الآثار في جنوبها وشمالها * حتى أدرك ذووا العقول حقيقة المنقول

والمعقول * بأصولها وقواعدها * والصلاة والسلام على الحقيقة الجامعة الفائقة على الموجودات بفضائلها وخصائصها النبي الكريم * والرسول العظيم * محمد المصطفى الآية الكبرى * وعلى آله الطيبين الطاهرين من جميع نقائص الامكانات الواقعة في صقع مباديها ونتائجها الى أبد الآباد *

﴿ أما بعد ﴾ فقد عرف كل ذي لب وعقل ما وصل اليه العالم الآن من درجة الارتقاء وما بلغ اليه هذا العصر من مقدار الكمال * حيث استنارت فيه الافكار بأنوار الحرية العلمية * وارتقت بذلك الفنون والمعارف والعلوم والصنائع * واتسع نطاق المواضيع والمباحث ولم يبق شيء الا درات فيه المناقشة بين طوائف العلماء * وطبقات المتفكرين والنظار * وعلم بذلك كله ان أساس الرقي واس التقدم انما هو الفكر الصحيح والعقل الصريح والحرية الكاملة * والانطلاق التام في عوالم المعاني وميادين البيان * وان من عمي بصره بظلمة الاغراض

والأهواء * وليل التعصب والحمية الجاهلية فقد تعرض للردى * وتصدى للشقا * سواء في ذلك الأفراد والمجتمعات * والاشخاص والامم * فأساس التفاضل الحقيقي هو التفاوت في العقل * والتسابق في حرية الفكر ﴿ العقل ميال للبحث والحرية تفتح له الباب وتمهد امامه السبيل ﴾

فلما كنت ميالا كسائر أبناء هذا القرن الى التفتيش والتنقيب انصباغا بصبغة هذا العصر الفريد طرقت باب المواضيع العلمية * والمسائل المدنية العمرانية * فكان من أعظم تلك المسائل لدى نظري وأهمها امام فكري مشكلة العالم الآن ﴿ وهي مبحث التصالح العام ﴾ وموضوع السلم الاعم * بين جميع الامم * ثم اتفق أن دارت رحى المباحثة والمناقشة بيني وبين رحالة من أفاضل الرجال وماجد من أعاظم الكتاب وحملة الاقلام فيما تهم معرفته وتكبر عائدته * وكان أهم مادار الحديث فيه من المواضيع المفيدة ﴿ مسئلة ترك المحاربات واتفاق الامم ﴾

ووضع أوزار القتال في جميع انحاء العالم * فقال هل يأتي يوم ﴿ يصل العالم فيه الى ترك المحاربة ودرك سر مافيها من المضار وقبح مالها من النتائج ﴾ فقلت نعم أنه لابد من حصول ذلك على يد من يريده الله من صفوة عباده ويؤيده بنصر من عنده وقوة من لدنه كما وعدنا به في الكتب المقدسة على لسان أنبيائه ورسله وكما يقتضيه ناموس الترقي وسنة الله في خلقه ﴿ وسيأتي شرحهما بعد ﴾ فشوقه هذا الكلام بعد ما أظهر من الفرح والابتسام الى استطلاع خبيئة الامر واستكشاف مافي نفسي من هذا السر كما هو شأن السائح المنقب على الحقيقة الضالة ينشدها أينما حل * فطلب مني ان أكتب رأيي في هذه المسئلة ومنتهى علمي في هذه القضية * وأدبجها رسالة تحفظ ضمن أسفاره * وتؤثر في نتائج أسفاره فأجبته بقدر الامكان * وان كان عندي من الاشغال ما يكفي لقوة انسان * وقمت بتدبيج هذه الرسالة رجاء في نيل ما أعده الله لخدمة الانسانية من الثواب * فان الانسان

خلق للنفع وبقدر منفعته ترفع من درجته *

﴿ وقد رتبتها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمه ﴾

أما المقدمة ففي بيان مضار الحروب والاسباب التي تجر اليها وفوائد السلم والمنافع التي تترتب عليها *

والفصل الاول في بيان البشارات الواردة في الكتب المقدسة بمجيء اليوم الذي تبطل فيه الحروب * وتذهب الاحقاد من القلوب *ويعم الصفا ويتم الوفا

والفصل الثاني في اجمال الدليل العقلي على وجوب ابطالها

والثالث في بيان من يقع على يده ذلك الأمان

والخاتمة في قرب مجيء ذلك الزمان

﴿ المقدمة ﴾

قد تناولت القلم بيدي * لاكتب في ترك الحروب مادار بخلدي * وبي لعمر الحق من الشواغل والنوازل مايقعدني عن ان أخط سطراً أو أجرى بالمداد حرفا غير اني قد تذكرت قول الشاعر الحماسي

ولي قلم في أنملي ان هززته * فما ضرني ان لا أهز المهندا

فشجعني هذا المقال * على أن أقاوم ما بي من الاشغال وتبلبل البال * وأوسع لهذا الموضوع المجال * فأقول راجياً من الله التوفيق * والهداية لاقوم طريق *

(اعلم أولا) ان الانسان مهما ترقى في العلوم الكونية وارتدى بلباس المدنية * والفنون الحسية * لا يبلغ منتهى السعادة في كماله * ولا الغاية المطلوبة في اعتداله * لانه ناقص باصل فطرته * معرض للخطأ في سيره وفكرته * ولهذا السر الذي فطر عليه الانسان * وجعله عرضة للخطأ والنسيان * شرع لهم الشرائع والاديان * على يد من أيدهم بقوته * وعززهم باعلاء كلمته تتميما لدرجة الكمال * وابقاءاً لهم عند حد الاعتدال * فالعالم بفطرته الاصلية هيكله الجسماني محاط بعدة أمراض وعيوب محتاج في علاجه الى طبيب عارف بصنوف مزاجه * يعطي كلا من الدواء ما يناسبه للابراء يحتاج في تقويمه الى مرشد يرشده * ومربي من مخالب الرذيلة ينقذه * كالطفل الذي يولد من بطن أمه لا يعرف شيئا من مقتضيات حياته * ولا موجبات حاجياته *

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا الآية ﴾

فاذا لم يمنح أبوين يعرفان واجبه ويقومان بشأن تربيته مات ذلك الطفل ضحية الاهمال وغنيمة التلف والاعتلال * فالانسان لو خلي والصدف تدير دفة سيره وتحركه كما تشاء في مسيره لانتهى به الحال الى التلاشي والاضمحلال * لا يعرف سعادة مستقبله * ولا انتظام حاضره من عمله لكن الله بمنه ورأفته * وبديع حكمته رأى لحفظ كيان الوجود وبقائه على النظم المحدود * ووصوله الى الغرض المقصود * ان يرسل الرسل لينهضوا بالامم ويسيروا بالعالم سير الطبيب الذي أتقن ضروب العلاج ليقوم ما عرض من الاعوجاج * فقام كل رسول بما أوحى اليه من ربه من النظامات والاحكام * والحدود المناسب الوقوف عندها في كل زمن من الازمان ليبلغ الانسان درجة الوصول والاتقان * وبهذا علم ان سعادة الانسان * وحياته حياة طيبة خالية من كل ما يكدر صفو الراحة التامة * والسعادة العظمى انما هو بالدين *

ومعرفة ماجاء به من الاحكام النافعة والحكم البالغة * وكلما ازداد الدين قوة وتمسكا من الانسان به * ازداد العالم سعادة وانتظاما * وكلما ضعف تمسكهم بحبله القويم وصراطه المستقيم * ازدادوا ضعفاً في سعادتهم * وقربا الى شقاوتهم فمدار السعادة الحقيقية على التمسك بأحكامه التي شرعها الله لهم لما انطوت عليه من الاغذية الروحية * والأدوية العمرانية الادبية * لذا ترى كل أمة في بدء نشأتها وقيام شريعتها * إبان شبوبيتها لها من النفوذ والقوة علي من عداها من الامم مايدهش الابصار ويحير الافكار وما ذلك الا بفضل قوة التمسك بالدين والحرص على نشر تعاليمه المفيدة في ذلك الحين * وما اعترضها في سيرها التأخر والهوان والذلة والضعف الا بعد ان تركت التمسك بلباب أحكامه * وجهلت حكمها المقصودة من تشريع مشرعها * وتواردت البدع والعوائد الخرافية على العقائد الصحيحة الدينية * حتى ذهبت بمعالمها وآثارها ومنافعها ونتائجها * فاعتراهم الضعف بعد

القوة والجبن بعد الشجاعة * والتفرق بعد الجماعة والتقاليد القبيحة بعد العقائد الصحيحة * والنعوت السافلة بعد الصفات الكاملة * وهكذا كلما فرطوا في الدين زاد وهنهم واشتد ضعفهم فيفتقر أمرهم الى البناء والتجديد ويحتاج العالم للتقمص بلباس جديد * وحياة تمحو منه ذلك الضعف الشديد * فيرسل الله من يجدد لهم أمر دينهم * ويحيي ما اندرس من أصول شرعهم * وهكذا السير في طبيعة البشر قوة وضعفاً * وتلك عادة الله في خلقه لن تجد لها خلفاً (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تسعد الامم باتباع من يقوم لهدايتهم * وتشقى بمخالفته اذا استحكمت فيهم الآراء الفاسدة * والعقائد الباطلة التي ورثوها من آبائهم بدون استعمال آرائهم فيها وتبيين صحيحها من فاسدها * وجمودهم على ما بهم من اخلاق سيئة * وأثواب بالية * فيصبحوا وقد تأخروا في سيرهم * وكبوا في سبقهم ثم تنهض أمة جديدة الى السبق في ميادين الفلاح والتمسك بأسباب النجاح

والتقمص بثياب السنن الرشيدة وخلع ما بلى من سربال
العوائد العتيقة التي أراد الله انقضائها بانقضاء ما كان مناسباً
لها من الظروف والاحوال * وما أعدلها من الآجال
كما لا يخفى على من تتبع سير الامم الماضية * في القرون
الخالية * فمن ينكر قوة الامة الموسوية إبان نشأتها
ونهضتها في أول قيام مؤسسها * وناظم ناموسها (سيدنا
موسى عليه السلام) ثم ضعفها بمخالفتها (روح الله القائم)
بتجديد ما اندثر من معالمها وخفي من حكمها * وهكذا
الشأن لكل قائم بدين سماويّ * وشرع الهيّ * يكون
سعادة الامم في متابعته * وشقاؤها في معاداته ومعاندته

فاذا تمهد هذا فاعلم ان أهم ما أوجبته الشرائع الالهيه
وأكدّت على اتباعه والقيام به كل شريعة سماويه * هو
الوفاق العام * وتعميم السلم والسلام بين طوائف البشر
وأمم العالم * فاذا قوى التمسك بالدين * والتشبث بعرى
حبله المتين * قلّت الشرور وضعف الفساد * بقدر قوته
وشدة مسكته * ولعمر الحق لو وجد الشعور الديني

والتمسك بماله من التعاليم الصحيحة في كلتا الامتين (الروسنيه واليابانيه) اللتان مثلتا للعالم أقبح مظاهر التوحش والهمجيه في حربهما الاخيرة * لما أهرقت دماء في سبيل الشهوة الدنيه * ولما ماتت ضحية الهوى ملايين من النفوس البريه * مع ان ديانتهما تمنعهما عن الحرب وتحثهما على السلم وقد انتبه اليه بعض افراد الرجال فامتنعوا عن الدخول في ميادين الكفاح والنزال كما بين ذلك فيلسوف الروس (تلستوى) في آخر رسالته التي ننقل منها بعض العبارات في آخر هذا الكتاب

ربما يقول قائل انه ما أحدث النفور في العالم ومزق روابط الامم الا الاديان التي كان أسّ قيامها وارتفاع راية اعلامها مبنياً على اعمال السيوف البتاره * والجيوش الجراره * وبالجملة فلم ينتشر دين ويبلغ الى منتهى سعته الا باهراق الدماء * وقتل نفوس الابرياء لولا هذه الحروب لسلمت مما نزل بها وخلصت مما ورد عليها من مصائبها *

فنقول مانيطت هذه الوصمة بقليل من الاديان الا بفقدان روحه الحقيقية وقيام الاشرار بمبارزة الاخيار ومناضلتهم بالسيف بعد بطلان الحجه * وتوعدهم بالكفاح بدل قوة المحجه * فبدلوا فضيلة السلم برذيلة الحرب وشعيرة السلام بشريعة الطعن والضرب * وأقيمت راية العناد بعد تلاوة آية الاتحاد * فلم تقع حرب في إبان نشأة الاديان الا دفاعا ومنعاً للعدوان ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة الآية﴾ وبالجملة فكل ماروي مخالفاً لتمام المدنية ونهاية السعادة الحقيقية منشأه فساد التعليم ونتيجته ترك الدين ونبذ الاعتصام بحبله المتين وكتابه المبين (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (انه لقول فصل وما هو بالهزل) ولولا مانحن عليه معاشر المسلمين من تركنا لباب ديننا وروح شريعتنا لما وصلنا الى مابنا من الضعف ولما حاق بنا من آيات الذل والخوف * وكنا في مقدمة الامم الراقيه أدبا ومادة بفضل ما لدينا من

الاحكام وتمام النظام * ولكن ما العمل وقد قضت
سنة الله ان يكون في العالم رفع وخفض وبسط وقبض
وحياة وموت ونيل وفوت ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم
ثم اليه ترجعون الآيه ﴾ *

وبهذا علم ان كل من يقوم ليجمع الناس على السلام
ويدعوهم الى الوفاق والوئام * وينادي بابطال الحروب
وتأليف القلوب * ولم يؤيد بقوة الهيبه وكلمة سماوية *
أراد الله بها صلاح العالم * وتنظيم الامم * خاب مسعاه
وذهبت كلمته في فلاه * واشتبه عليه الداء * فلم ينجع منه
الدواء * فلا عجب اذا رأينا فشلا وعدم تأثير من كبار
الفلاسفة وفطاحل الخطباء * ودعاة الاصلاح الذين
ذهبت مواعظهم ادراج الرياح * ونداؤهم صيحة في واد
أو نفخة في رماد * وان كانوا قد قاموا بالواجب عليهم
وأتوا بما توحيه الانسانية اليهم ومن بينهم الفيلسوف
الشهير السياسي الكبير (تلستوي الروسي) فانه لم يترك
من متناول قوته شيئا الا أتى عليه ولم يذر من دائرة

مكنته حداً الا وصل اليه وكان كل ماله كلا مالم يتجاوز صماخ الاذنين نفوذاً ولم يتعد دائرة وعظه تأثيراً وما ذلك الا لان الروح الالهية والقوة التشريعية التي قامت بها الاديان * وانتشر صوتها في عالم الامكان لم تكن في هذه الكلمات البليغة والخطب البديعة

﴿ مجمل ما أردناه وحاصل ما فصلناه في مقدمتنا هذه ﴾

ان اصلاح العالم * وتنظيم الامم * لا يمكن من مجرد قوة انسانية * مالم تمدها قوة الهية * وأكبر شاهد على ذلك ما رأيناه * ولا نزال نراه من قيام فلاسفة العالم وحكمائهم الذين بلغوا في قوة التأثير الخطابي * والنفوذ الاداري * والسلطة الحكومية شأوالم تحاكهم فيه الانبياء والاولياء في جميع الانحاء شرقا وغربا عجما وعربا * وقالوا واطنبوا ونادوا بالاصلاح واسهبوا بكل لغة ولسان وكل أساليب التأثيرات والبيان وما أتوا بشيء وكأنهم لم ينادوا الحي * ولكن متى وجدت هذه القوة العالية والقدرة السامية التي فاقت كل قدرة تأثيراً * وتدانت

عندها كل الاقوياء اجلالا وتكبيراً لم نحتج بعد ذلك
الى فصاحة وبيان * ولا معرفة لسان * ولا خديعة ولا
دهاء * ولا براعة في مضمار الخطباء * ومن يتأمل في أحوال
الشارعين من الانبياء والمرسلين * وأتباعهم المؤمنين
الاولين يرى ان لا قوة لنفوذ كلماتهم * وكبح جماح
المعاندين لبيناتهم سوى هذه القوة الغيبية والقدرة الالهية
فان اتباعهم المؤمنين في بدء الامر مابرعوا في العلوم
وما تعلموا الفنون وما دخلوا المدارس * ولا تعلموا
المباحث * ولم تمدهم قوة ملوكيه * ولا جيوش حربيه *
ولا آلات ناريه * ولا قوة عصبيه * ولا جامعة وطنيه
بل كل هذه الآلات والعدد والامدادات والمدد منهم
مفقوده * وما تبني عليه قوى التأثيرات المعتادة ليست
معهم حاصله * بل مع خصومهم متوفرة موجودة * فان
غالبهم ان لم نقل كلهم ابتعد عن وطنه وحرم من محل
سكنه وعاش غريباً بين قوم لا يعرفهم * وأجناس
لا يألفهم بعوائد غير معروفه * وصفات ليست مألوفه *

حتى كأن هذا علامة من علاماتهم * ووصف لازم من صفاتهم * وبهذه القوة اللاهوتية يرى عما قليل نفوذ كلماتهم * وتعميم دياناتهم * وانتشار شرائعهم الكافلة لصلاح العالم الملائمة لكل الاذواق المختلفة والطبائع المتباينة * وفيها من العلوم والنظامات ما به تتم السعادة * وفي اتباعه منتهى الراحة في المجتمع الانساني * ولنرجع الى ما نحن بصدده من الايضاح * وما أردنا بيانه وعنينا بشرحه في هذه المقدمة * قلنا ان الاصلاح لا يكون الا على يد من أيده الله بالمعجزات الباهرة * والحجج الظاهرة * وفي أوليات هذا الاصلاح * ترك المحاربات وقطع الخصومات * ونشر السلام العام * ورفع راية الوفاق والوئام بين الانام * فاذا قام هذا القائم ونادى بين العالم ﴿ان أقيموا عَلَمَ السلم وانشروا راية الامن وجددوا مجدكم السابق وفخر أجدادكم المندثر﴾ رأيت الكل بعد شديد العناد والاصرار على الحياد كما هو جاري السنن المعتاد مسرعين * ولقبول دعائه مهطعين

وبقوة تأثيره مطيعين * وقد وعدنا الله بمجيء ذلك القائم على لسان أنبيائه ورسله * وسطّره في الالواح النازلة من سماء قدسه كما سنتلو عليك عبارات كتب القبل من التوراة والانجيل والفرقان *

وقبل ان نتلو عليك عباراتها نقدم لك اشارة اجماليه * ومقدمة عقليه * في مجافاة الحروب لنوع الانسان وما يلحقه من مضارها * وتوقد نارها * وما يناله من تركها وقطع دابرها * من الصفات الكاملة والاخلاق العالية (فنقول) أما قبح المحاربة واراقة دماء النفوس البريئة فمما قد اتفقت عليه العقول السليمة وتضافرت فيه النقول الصحيحة فان الانسان لم يخلق بأصل فطرته مستعداً للاغتيال * ولا نوعا من الوحش المغتال * بل خلق ضعيفاً أنيساً يعيش مع نوعه ويأنس مع بني جنسه * لا برثن له كالسبع ولا مخالب كالباز والصقر فتعدّيه على غيره بالقتل ومحاربة بعضه بعضاً خروج عن طبيعته وبعد عن أصل فطرته * فان حارب فقد توحش بعد ان

كان انسانا وتنافر بعد ان كان ألوفا * وجفا بعد ان كان عطوفا * وتبدلت انسانيته بالحيوانية ونظاماته بالهمجية وكمالاته بالنقائص * وفضائله بالرزائل * وبالجملة مسخ من عالم الانسان الى أقبح أنواع الحيوان * وسعى في خراب العمران * وتخريب البنيان * وهدم دعائم الاديان ﴿فياللعجب﴾ ما أغرب الانسان وماأشد ولوعه واكثر وقوعه في التلف * وأسرع انقياده للهوى وانحلال عزيمته في مقاومة عدوّه * ونكاية خصمه ﴿ألا وهو سلطانه العظيم وشيطان هواه الرجيم﴾ يعرف انه لا يعيش الا مدنياً * ولا تتم راحته الا بمساعدة أخيه من بني جنسه * ومع هذا يستهويه الشيطان فينسيه منافعه ويحجبه عن درك حاجياته منه * ويسوّل له الايقاع به ويزين له اهلاكه وقتله لحاجة وقتية * ومنفعة جزئية * فينقاد لهواه ويسرع لقيادة شيطانه * وينزع ثوب انسانه ويوقع بأخيه * ويجهل حاجته اليه * وماضر بفعله هذا الا بنفسه قبل ان يضر بغيره ﴿الانسان﴾ غريب وعجيب

لا ينقضي منه العجب مهما ظهر السبب * منح من قوة الفكر * واتساع دائرة النظر * ما لو استعمله وبني عليه عمله لصار ملكا * ولا براج شموس العرفان فلكا * ولقطع لجج الكائنات فُلكا * لكنه ويا للاسف جهل نفسه وما عرف قيمة حسه * فابطل أعمال هذه القوى الممنوحة له من ربه * وتنازل برضاه عن أرفع مقام الكمالات الى أخس أنواع الحيوانات * وجمع مافيها من قبيح الصفات فتراه يوما قرداً وثعلباً آخراً وذئباً مرة وضبعاً كرة وسبعاً تارة ودبا أخرى *

وبالجملة ففيه من كل حيوان أرذل الصفات وأقبح الحالات ﴿ الانسان ﴾ وما أدريك ما الانسان هو الحقيقة الكاملة ومصدر القوة العاقلة التي بها تسمو الانواع * وتتفاضل بسببها الافراد ويترقى بقوتها واستعمالها الى رتبة الملكية ويتنازل بضعفها واهمالها الى أخس دركات الحيوانية * فهى قانون فضل اذا استعملت وآلة الخسة والانحطاط اذا أهملت وهو الذي يمكننا ان نقول في شرحه هو الكامل الناقص

باعتبارين وهو المتباين في افراده على حسب الوصفين ﴿وحقيقة﴾ ان من ينظر لبعض افراده النابغين في أنواع العلوم وأصناف الفنون وضروب السياسات العالية والرياسات المتنوعة * والى افراده الأخر المنحطة في درجة الادراك البعيدة عن معرفة الحقائق الصحيحة بادلتها الواضحة الصريحة * وجهلها بكل شؤن مصالحها الدينيه والدنيويه يرى بين النوعين تفاوتاً كما بين الجنسين بعدا (فمن) ينكر علوّ درجات فلاسفة الاسلام واليونان وأوربا وحكمائها * ومكتشفي أمريكا وعلمائها * ومخترعي صنائعها * ومؤسسى قوانينها وشرائعها ﴿عن زنوج﴾ أفريقا و﴿برابرة﴾ السودان وأمم ﴿نيام نيام﴾ لاشك ان من يتأمل في درجة الطبقتين لايمكنه الا الحكم بانهما نوعان مختلفان وجنسان متباينان * بينهما من البعد ماهو أكبر من الفرق بين الانسان والقرد مثلا * ويعرف انه ما نتجت المفاسد في العالم * وتولدت الاحقاد والضغائن وقامت الحروب وفنيت الامم * الا بسبب ما أهملوه مما وهبهم الله من

العقول * ولم يستعملوها في صالح حياتهم ومقتضى سعاداتهم من تربية أبنائهم على المحبة والرأفة وتعليمهم حسن المعاملة ولا سيما عند المجادلة مع جميع الامم * وتأليف قلوبهم بالولاء والمودة بل استعملوها في المراء والجدال * وأوقدوا نار الحقد في صدور الرجال * وملئوا القلوب بالعداوة والبغضاء وأوغرو الصدور بالنفور والجفاء * فتبدلت حروب الاقلام بحروب السيوف *

﴿ قال بعض الفضلاء ﴾

مافتحت أبواب المحاربات الهائلة بين الامم الا بعد ما وقعت بينهم من المناظرات الدينية وجرحت احساسات الطرفين ببذاء لسانهم في الاختلافات العلمية فشرعت رؤساء الأمم أسنة أقلامهم في تسطير الردود والاعتراضات والتعريض عن يحترمهم أصحاب المذاهب والديانات فكتبوا ما أمكنهم من الكذب والبهتان على مؤسسى الامور وشارعي الاديان * حتى جاشت الصدور وغلت النفوس * فتبدلت حروب الاقلام بحروب السيوف

وتسطير السطور بتأليف الصفوف * فاريقت ما اريقت من الدماء البريئة * وهدمت ماهدمت من البلاد العامرة مما لا يمكن ان يطلع على بشاعة منظره * وفظاعة مخبره الا رحالة سوّاح في الاقطار * جوّاب في الامصار * يجوب خلال البلدان والديار * ويرى ببصره آثار ما يقرؤن في الصحف والاسفار * فيقف على تلك الطلول الموحشة * والخرائب المستوحشة * ويبكي على ماجرّته عليها الالسنة الوقحة * والاقلام الطائشة * واني لن أنس أبداً ما اعتراني من الدهشة وصادفني من الحيرة حينما زرت مدينة (شهرستان) سنة ١٨٩٢ من التاريخ الميلادي في البلاد التركمانية مع بعض أفاضل ضباط الامة الروسية فقد رأينا تلك المدينة التي كانت مولد العلامة (محمد الشهرستاني) صاحب كتاب الملل والنحل خرابا يبّابا قاعا صفصفاً لا يأوى اليها الا الثعالب والجرزان * ولا يمر عليها الا رعاة القبائل الرحل من التركمان * وحقيقة من يسافر الى بلاد خوارزم ويرى

تلك الصحراء التي تقطعها سكة حديد روسيا مدة يومين وليلتين تقريباً من بحر الخزر الى نهر جيحون فبخارا وسمرقند لا يرى فيها الا اطلال المدن الكبيرة وخرائب البلاد من قبيل ﴿جرجان ونساء ودرون وابيورد وشهرستان ومرو﴾ وغيرها من العواصم التى كانت سابقاً زاهرة بالمعارف والعلوم وعامرة بالحرف والفنون * بل كانت موئل المدنية والحضارة * ومنبت فروع الخلافة والامارة * ثم آلت أمرها الى الخراب والبوار بما وقعت فيها من المحاربات الهائلة الدموية بسبب الاختلافات المذهبية بين الشيعة والسنية فأريقت فيها من الدماء وهدمت القرى وأيتمت من الاطفال والاولاد واستأثرت من النسوان والبنات مالا يمكن ان يحصيه المحصون * فلا يرى فيها الا بلاداً خالية بائرة * ومزارع متروكة دائرة * ومعالم موحشه دارسه * ألم يأن لنا ان نقوم من رقدتنا * وننهض من كبوتنا * ونراجع عقولنا ونتفكر قليلا فيما يؤول اليه أمورنا

فنطرح عن أعناقنا ثقل العصبية الجاهلية * ونمحو عن دفاتر صدورنا سطور الاحقاد الدينية والمذهبية * فنربي أبنائنا بالمحبة والرأفة بدل ما كنا نربيهم بالعداوة والضغينة * ونرسم في قلوبهم رسوم المودة والولاء * بعد ما كنا ننقش فيها نقوش المنافرة والجفاء * ونتلو على آذانهم آيات الحب والوفاق * بعدما كنا نقرع مسامعهم بنغمات البغض والشقاق * فتبتهج اذاً أقطار الارض ببشر الفرح والسرور * وتزهو رياض الملك بزهور الانبساط والحبور * فنصير نحن ورثة كلمة الانجيل الجليل ﴿ طوبى للودعاء لأنهم يرثون الارض طوبى لصانعي السلام ﴾ ونكون نحن مصاديق ما نزل في الفرقان المجيد ﴿ تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً ﴾

ولا يمكن ان تذهب تلك الاحقاد القديمة من القلوب الا بأن تحترم رؤساء الأمم بعضهم بعضاً ولا يتكلم أحد في حق غيره الا بلسان الادب ولا ينتقد عالم على عالم

متدين بغير دينه ومذهبه الا بغاية الاحترام * نعم يجوز الانتقاد على كل عالم بل الانتقاد من آيات الارتقاء * ولكن النقد غير الشتم والافهام * والاستفهام غير الملاعنة والسباب * فهلا يحترم المسيحي مثلا رؤساء المسلمين في بياناتهم ومقالاتهم * والمسلم أكابر المسيحيين في كتبهم ومصنفاتهم * والسني أكابر الشيعة والشيعة رؤساء أهل السنة لتذهب بتلك الاحقاد القديمة وتغسل ادران تلك الاخلاق الذميمة وتنبت في أراضى الصدور * بدل أشواك النفور * ازهار الانبساط والحبور * ويرثوا فردوس الانسانية الحقيقية في جوار الرب الغفور انتهى

﴿وأما ترك المحاربات﴾ والفوائد التي بسببه تعود الى العالم فمما لا يخفى على كل ذي لب ان ترك المحاربات ووضع السلاح من أهم ما يتعلق به اصلاح العالم كما ان اتفاقهم (١)

---

(١) غرضنا من الاتفاق هنا من جملة أوجه * منها اتفاقهم في الدين ثم العواطف والاميال ثم اللغة الى غير ذلك مما يتوقف عليه انتظام العالم وسعادة الامم

على نهج قويم * وصراط مستقيم * من أعظم الوسائل التي يتوقف عليها حيات الخلق وانتظام الأمم * اذ الاتفاق بمنزلة الماء لاطفاء نار الضغينة والبغضاء واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وقوله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى الخ ﴾ فاذا استنارت الامم بنور الاتحاد * وفازت بترك المحاربات والعناد وتوفرت لديها الاموال الهائلة التي تصرفها لاجلها وسلمت من اذهاق أرواح رجالها وصرفت تلك الاموال العظيمة المتوفرة في نشر العلوم واكتساب المعارف الموجبة لحياتها وأشغلت أولائك الرجال الذين كانت تزهق أرواحهم بنار الحرب فيما يحسن مستقبلهم من الاختراعات العظيمة وايجاد أسباب الراحة * نالت ماتمناه من الصعود الى أعلى درجات الارتقاء * ووصلت النقطة التي تمناها فحول الحكماء *

فلهذا يجب على رؤساء الأمم وولاة الامور وسائر الافراد من جميع الملل * ان يوجهوا دقيق أفكارهم وعلو هممهم

نحو هذه الخطة العظيمة التي تسود بها الشعوب * وتزول بالسلوك فيها جسام الخطوب * فينبغي لمحرريها ومديري أفلاك السياسة فيها ان يوقفوا أسنة أقلامهم على البحث في أسباب وصولهم اليها كيف لا ولو أطفئت نار المحاربات والفتن وقلمت اظفارها وطمست معالمها وسكنت الاضطرابات وآمنت الطرق وعاد العالمون للأمن وجنحوا للسلم لبلغوا الى أوج الكمال وأقصاه * وأوصلهم الله غاية ليس وراءها مطمح لناظر * ولا زيادة لمستزيد ﴿هذا﴾ ماينبغي أن تمد اليه أعناق الرجال * وتوجه نحوه الانظار والأميال * وتطمح اليه النفوس وترجى منه الآمال ﴿وقد انتبه لهذا بعض الدول﴾ ودعا الملوك لذلك وملئت الجرائد بالبحث في هذا الامر الخطير * ولكن لما استبعدوا ذلك جعلوه نسياً منسياً * وطالما كنا أيضاً نستبعد ذلك لان شعب المطامع الغربيه وحصون العصبية الشرقية لا يزال كل منهما يصادم الآخر بافئدة وقلوب لاتعرف الرحمة ولا تنظر الى سوء النتيجة وشر

العاقبة الى ان طلعنا على مصادر صحيحة من الكتب السماوية * والاخبار القدسيه * مؤيدة بالأدلة العقليه والنواميس الطبيعيه * فرأيناها تنادي بحتم وقوع السلم وانتشار الامن شرقا وغربا ﴿ يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً ﴾ فأيقنا بان الحروب لا بد وان تضع أوزارها * وتبرز أراضي القابليات كنوزها وأسرارها * وتشرق الارض بنور ربها *

﴿ الفصل الاول ﴾

في البشارات الواردة في الكتب الالهية * والاخبار النبوية * ومن الوعود الالهية في ذلك ماورد في كتاب أشعيا بن آموص عليه السلام * في رؤياه التي رآها من جهة يهوذا واورشليم (أي القدس) حيث قال في أول الاصحاح الثاني ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب (أي الكرمل) يصير ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق كل التلال وتجري اليه كل الامم وتسير

اليه شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب فيعلمنا من طرقه * ونسلك في سبله * لانه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الامم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد انتهى

﴿ ومنها ماورد في كتاب هوشع بن بيري عليه السلام ﴾ في الاصحاح الثاني حيث قال الله له في رؤياه ﴿ واقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع الحيوان البرية وطيور السماء ودبابات الارض واكسر القوس والسيف والحرب من الارض واجعلهم يضطجعون آمنين ﴾ انتهى

﴿ ومنها ماأخبر الله به ميخا المورشتي عليه السلام ﴾ في رؤياه التي رآها على السامرة وأورشليم من الاصحاح الرابع حيث قال عليه السلام ﴿ ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يصير ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري اليه شعوب وتسير أمم كثيرة ويقولون

هلم نصعد الى جبل الرب والى بيت اله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لانه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لامم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد * بل يجلس كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لان فم رب الجنود تكلم ﴾ الى آخره * وقال في سورة القصص ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ ومن المعلوم ان الذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً هم ذوو النفوس الطاهرة والارواح القدسيه * الذين لا يهمهم من حياتهم سوى ترقية شؤنهم * وسعادة مستقبلهم * وتخليص أنفسهم من ربقة الاخلاق الفاسدة * وضيق دائرة الحياة المنحصرة بين ما تميل اليه النفس السافلة * وتدعو اليه شهوة قاتلة وأن العاقبة ونهاية الامر في صلاح الشؤن للمتقين

لا للمتحاربين * فمن المعلوم ان المتقين هم البعيدون عن
مظان التوحش والهمجية المقتضية للحروب والنزاع بين
القبائل * فهم الذين تكون العاقبة لهم ويستخلفهم الله في
الارض بدل الامم المتوحشة المتضاربة المتحاربة *
وينتهي هذا الفساد القائم والنزاع الدائم باستقرار الامر
لهم وتبديل الاشرار بهم * ومن الآيات الدالة على ذلك
قوله تعالى ﴿ وأشرقت الارض بنور ربها ﴾ اذ الاشراق
بالنور لا يكون الا بعد مضيّ دور الشرور * وامتلاء
الارض عدلا ورحمة بدل الظلم والجور بالعلوم المزيلة
للظلام الديجور * وقيام العالم الانساني من ظلمات الجهل
الى عالم النور والحبور ورضاء الرب الغفور * الى غير ذلك
من الآيات الدالة على عموم السلم والسلام * وتحقق وقوع
الامن العالم بين جميع الانام * وهي كثيرة جداً في جميع
الكتب السماوية *

ومن الاخبار النبوية في ذلك ما نقله الحلواني في رسائله
عن المصابيح * وقال متفق عليه عن أبي هريرة رضى الله

عنه قال ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلا الى آخره ﴾ وفي رواية أخرى ﴿ وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة أي ذات اسم ﴾ حتى يدخل الوُلَيْدُ يده في فم الحية فلا تضره ويكون الذئب في الغنم كأنه كلب وتملأ من السلم كما يملأ الاناء من الماء وتكون الكلمة واحدة وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الارض كفاثور الفضة ﴿ أي طشت الفضة ﴾ تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف ﴿ أي العنقود من العنب ﴾ فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ﴾ ﴿ انتهى ﴾

ومثل هذا كثير في كلمات الاولياء والصلحاء بل جميع من جاء الى هذا العصر المجيد من الانبياء والاولياء وكبار الصلحاء انما جاؤا دعاة الى الاستعداد لهذا اليوم المظيم الرهيب * وكلهم بشروا به صراحة واشارة واطنبوا في ذكره * وأكثروا من الحث على اتباع القائم

به عند ظهوره * والتحذير من مخالفته عند شروق كوكب نوره * نور الله بصائرنا وفتح بصيرتنا حتى لا نتلعثم في الحق ولا نتوقف في قبول كلمة الصدق آمين *

الفصل الثاني

﴿ في الدليل العقلي على سبيل الاجمال ﴾

ليعرني السامع آذانا صاغيه * وقلوبا واعيه * حتى يدرك سر ما وصل اليه عقل كل ذي لب سليم * واستشعر به قلب كل ذي وجدان مستقيم * ذلك ان العالم دائرة لها قوسا صعود وهبوط * والآن نحن نشاهد ونرى ان العالم سائر الى التقدم فيزداد يوما فيوما * فهو الآن في قوس الترقي كما قال ابن سينا وغيره من الحكماء * ان العالم في قوس الترقي والارتقاء * فلا بد له من يوم يصل فيه الى أعلى نقطة الكمال * وأرقى مراتب الاعتدال * ومن أسباب ونتائج الوصول الى نقطة الترقي والاعتدال ترك المحاربات ورفع الجدال * واتفاق الامم على نهج قويم * وصراط

مستقيم * وتبدل بعضهم بالمحبة * وخشونتهم باللين والملاطفة * فيصبح بذلك العالم في منتهى السعد * ويصعد الى أعلى أغصان العز والمجد (هذا) وأيضاً فان الناظر في تاريخ الانسان منذ ان عرف تاريخه * يرى انه في مبدء وجوده كان لا يأكل لحوم الحيوانات * بل كان يقتات من محض النباتات لا يرى له لزوما للحيوان * ولا ضرورة تدعوه الى استعماله في أي زمان ومكان * وذلك لانه باصل فطرته عاجز عن اغتياله (١) وضعيف عن افتراسه واستعماله * ولم يمنح من المعارف اذ ذاك ما يستعمل به الآلات المستخرجة من المعادن الحديدية والتحيلات الغريبة في اصطياد الحيوان * فلذا قد بقي أمداً طويلا لا يعرف أكل اللحم * ولا صيد الحيوان فضلا عن قتل الانسان حتى قصّ علينا القرآن الشريف من أخبار الماضين ما ذكره في سورة المائدة من قتل أحد أولاد

(١) لانه ذو فكين مشابهين تماما لفكي اكلة النباتات ومباينين لفكي الحيوانات المفترسة اهـ منه

آدم أخاه * ولم يعرف بعد ذلك ما يصنع به في دفنه لعدم عهد بنظيره * حتى أراه الله ما أراه * من كيفية المواراة * مما هو معلوم من القصة المذكورة ﴿هذا﴾ وأمثاله مما يجعل العاقل الفطن يحكم بان الانسان ليس حيواني المأكل فلم يكن في أصل طبيعته الميل الى القتل وايناسه هو السابق الاول * وتوحشه ماجاء الا مما نسميه اليوم تمدنا ﴿ بئس هذا التمدن الممقوت ﴾ الذي وصل بنا الى هذا التنازع الدائم * والحروب المبيدة لنفوس العالم ﴿ أي عاقل ﴾ لا يستقبح اراقة دم الانسان وتنازعه في هذا العمران بل أي عاقل يرضى بان يكون الانسان الذي سخر له جميع مافي الارض وأبيحت له منافعها ليتمتع بها ﴿على الحد الذي سنه الله على ألسنة الانبياء والمرسلين كي لا يتنازعوا ولا يتنافسوا فيما خلق لاجلهم ولا تصير المنافع فوضى بينهم فيعم الفساد البلاد * وينتشر الاذى بين العباد﴾ ان يكون هو أس أساس الشرور والفساد * وأصل ماجرّ الى الحروب من العناد *

﴿أي عاقل﴾ لا ينفطر قلبه ولا تذوب مهجته اسى على ما يصيب أخاه حينما تشتد نيران الحروب * وتعمل السيوف في الرؤس * والمدافع في أهلاك النفوس * مع امكان الاستغناء عنه وعدم الحاجة الى مايجب الفرارمنه ﴿أي عاقل﴾ يرى استماتة الانسان وتفانيه في محبة قتل أخيه لشهوة ملك يحب اتساع ملكه * والتفرد في سلطته * ولا يبالي بقتل الانفس واراقة الدماء في طريق رغبته في الاستبداد * ومحبته في الاستعباد ﴿أين العقلاء﴾ من بني الانسان * وساسة الامور بالاتقان * ومديري دفة السير بالحزم والحكمة حتى يجتمعوا على تقبيح ماهم عليه * ويدركوا سوء عاقبة هذا البغي وما يجر اليه من الفناء والهلاك * وذهاب الاموال الطائلة في هذا الداء الفتاك * بدل ان تصرف في منافع الوجود * وحاجيات كل انسان موجود * وهو الذي ماخلقت منافع الاشياء الا له * وما حسنت الا فيما يرجع اليه بالمنفعه * أين العقول الراجحة * والمدارك السامية * التي تقوم وتجتمع من

كل أمة وملة وتتشاور فيما يكفل الأمم صلاحها * ويوقفها عند حدها في نجاحها * فلا تتعدى أمة على أمة * ولا تظلم ملة مله * ولا يجور قوي على ضعيف الا بحق يثبت بطريقة قانونيـة * وتقتضيه شروط العدالة والحريه * وتصرف الاموال التي كانت تذهب ضحية الضـلالة والغي وتلقى في بحـار الحروب لفناء الاحياء وأهـلاك النفوس في منافع العمران * وحاجيات الانسان * وترقيه في الكمالات الانسانيه * والسعادة الحقيقيه * فبـدل صرفها في المؤن والذخائر الحربيه تصرف في دور التعليم ونفقات المعلمين والمتعلمين * وتشييد معالم الدين * وبدل ان تصرف في تعضيد الفساد * وتقوية أسباب العناد * تصرف في تربية الضعفاء والمساكين * وابراء مرضى المنقطعين * وتقويم دعائم الاتفـاق بين المتفرقـين * وتعمـير ما خرب من اخلاق البائسين ﴿ أين أين ﴾ هذه العقول التي نحن في أشد الاحتياج اليها * والاقتباس من أنوار آرائهـا * بل الانسان بدونها في حيرة قد استهوته شياطين ضلاله *

حتى أوقعته في بحور طغيانه* يتلمس سفينة حياته* ويلتمس زورق نجاته* فلا يجده الاحيث تكون هذه العقول التي هي ضالته المنشوده* وطلبته المفقوده* وكعبة أمله المقصوده* أين التقدم الذي ينادي العرفاء بان قد جاء زمانه* وأظلنا أوانه* انا مادمنا في حرب ونزال* وعراك وجدال* لم نزل في أسفل دركات التأخر* وأحط درجات السقوط والتسفل* لا نقول تقدمنا* ولا للأمام خطونا حتى نرى الاخاء عاما بين الأمم* والصفاء شاملا انحاء العالم* لا حرب لا قتل لا ظلم لا بغى لا عناد لا فساد لا شيء من عوامل الهوى قد ساد*

﴿وبالجملة﴾ فان الانسان لا يتم ترقيه ولا بلوغه النشأ والذي ينتظر منه حتى نرى ونبصر بأعيننا تحقق ما أخبرتنا به الوعود الآلهية* في الكتب السماويه* من ذهاب الحقد والضغائن من النفوس* وتكميل هدايتهم وتجديد نشأتهم بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة* وعموم الراحة والأمن بينهم حتى يكونوا اخوانا على سرر

متقابلين في جنة الطالبين بمجيء اليوم الرهيب المهيب * الذي تهتز من أجله قلوب المتقين * وتخضع لهول طلوعه أعناق المتكبرين * وتقوم فيه القيامة الكبرى * ويدعو الداعي الى شيء نكر * وتخشع الابصار من ذلك اليوم العسر * حينئذ يتم الوعد وينقضي أمد التفرّق * ويأتي أمر الله المنتظر بكل التشوق * فترى الناس اذ ذاك مهطعين الى ذلك الداعي مسرعين الي قبول ندائه * واستماع دعائه * فيجتمعون بعد الفرقة * ويأتلفون بعد النفرة ويتحابون بعد البغضاء ويتسالمون بعد الشحناء * ويتربون على المحبة والوفاء * بعد المخادعة والرياء * ويصيرون أئمة أعلاما * بعد ان ملئت قلوبهم أوهاما ويتبدل حربهم بالسلم وجهلهم بالعلم وجبنهم بالشجاعة * وشرههم بالقناعة * وشدتهم بالوداعة وحدتهم بالأناه ﴿ والامر يومئذ لله ﴾

الفصل الثالث

﴿ فيمن يجري ذلك على يديه ﴾

﴿ إعلم ﴾ ان ما ذكر لا يمكن اجراؤه الا على يد من وعدنا بالاصلاح على يديه وهو المعبر عنه بالمسيح * والاب عند الامة النصرانية * وبالرب عند الامة اليهودية * كما جاء مرسوما في بشارات أنبيائهم الذين يعتمدون على أقوالهم وبيانهم * وبالمهدي وعيسى عند أهل السنة والجماعة من الامة الاسلامية * وبالقائم والحسين عند الفرقة الشيعية وبمن يظهره الله عند بعض الامم الى غير ذلك من تعبيرات الملل وأصحاب الاديان المتعددة المبنى المتحدة المعنى ﴿عباراتنا شتى وحسنك واحد﴾ ومن المحال اجراء ذلك على يد الملوك لان الانسان لا يرى محظوراً في مخالفة رؤساء العالم بعضهم بعضاً حتى لو فرضنا انهم اتفقوا بالفعل على ترك المحاربة فانه من الجائز * ان يأتي بعدهم ملك جائر يناقض حكم الكل * وأما اذا كان المصدر سماويا كحكم الانبياء عليهم السلام فانه لا يتجرء أحد على مخالفة أمره ولا تتحمل نفس مسؤلية نقض حكمه * ولا يخفى على كل ذي قلب سليم وسير مستقيم ان الامور متى وكلت الى بني الانسان

وأسند أمر بنائها اليه في أي زمان لاتخلوا من عروض نقصان*ووجود خلل في البنيان*مهما كان بالغاً في درجة العقل وحافظاً في مواقع النقل * ولذا ترى كل القوانين البشرية والشرائع الجعليه * تحتاج كل يوم الى تغيير مادة باخرى * وحذف عبارة وتعويضها بما هو بالمصالح أحرى ﴿ وبالجملة ﴾ فلا يمر على مادة حول الا وقد نسخت ومن قانونها حذفت * أما الكتب السماوية والشرائع الالهية فنراها في جميع الاحيان وكل مكان * مطابقة للمصلحة في أمدها المحدود * وأجلها الممدود * حتى اننا لو رأينا بعضاً منها يخالف مصلحة وقتية فذا من جمودنا على الاقتصار على معانيها الظاهرية * ولو اننا وسعنا النظر وأمعنا الفكر * وحررنا عقولنا من أسر التقييد واغلال التقليد * لفهمنا منها ما يوافق غرضنا المطلوب ومقصدنا المرغوب* وذا لحكمة مشرعها واحاطة شارعها بما يوافق جميع الآراء المتباينه* والعقول المتفاوته*والعوائد المتخالفه * كل يأخذ منها على مقدار عقله * ويستفيد منها

حسب استعداد فهمه * ويستحيل عقلا حصول النظام العام والسلم بين جميع الانام * ممن لم يؤيد بكلمة الهية * وقوة سماويه * فان الانسان مجبول على حب العلو والاستقلال فلا يخضع الخضوع المطلق ولا ينقاد تمام الانقياد * الا لمن عرف انه يعجز عن مباراته * ولا يصل الى مجاكاته من جميع الوجوه وذا لا يتم الا حينما يكون قدرة صاحب القانون المتبع فوق قدرة البشر * وأعلى متناولا من جميع القُدر يخاف سطوته في السر والعلن * ويحاذر انتقامه فيما ظهر وبطن * بخلاف مالو كان المشرّع بشريا * ولو كان له من القوة والارهاب * ومعه من السيطرة ما بلغ حدّ الاعجاب * فانه لا يدوم نفوذه * ولا يبقى رأيه مهما كان حكيما * ولا تمكن من النفوس ولو كان عليما الا بمقدار ماله من الرهبة الظاهرية * والانقياد لسلطانه في مدته التي تنقضي بموته * وتذهب بقوته * ولا يبعد بعد هذا ان ينقض حكمه من جاء بعده * أو يخالفه في نفسه وسره من كان ضده * لانه لا رهبة له الا في عالم الشهود

ولا تمكن أوامره الا في ظواهر الحدود * بخلاف مالا يمكنه الاطلاع عليها من الاعمال الخفيه * والعقائد القلبيه * فلا يؤثر فيها ويرهبها رهبة حقيقيه * الامن هو عالم بها كلية وجزئيه * واذقد علم هذا علم انه لا يكون الاصلاح بالطريقة المرضيه لجميع العالم الشاملة لعموم الامم * الا ممن أحاط بالاشياء علما * وشرع الشرائع قدما * حتى يسوي بين القادر والعاجز * والعالم والجاهل * والرئيس والمرؤس * والملك والمملوك * كل يخضع لعظيم سلطانه وقوى برهانه * جعلنا الله من المتبصرين فى عواقب الامور * المعتبرين بما تخطه أقلام الكائنات من السطور * حتى لا نقف ضد الحق عثرة في طريقه * وحجابا مانعاً عن تصديقه آمين *

ولا يتوهمن القاري انا نريد بذلك ان الامم تتقاعد ولا تسعى في طلب ما يرقيها * ويعلي شؤنها * الى ان يأتي ذلك الموعود كلا بل انا نقول ولا نزال نكرره ان الواجب الاخذ في الاسباب التي تترقى بها الأمم *

وتستعد لقبول ذلك المصلح العام * والتصديق بما يأتيه *
ويجدد تشريعه من الحدود والاحكام * حتى يكون
للنظر في صدقه واختيار صوابه وصدقه أهل يعرفون
الغث من السمين * ويميزون الشمال من اليمين * أما اذا
قعدوا منتظرين اصلاحهم على يد ذلك القائم بدون ان
يعملوا لترقية مداركهم وأفكارهم فلا يفيدهم مجيئه ولا
يمكنه اصلاحهم بل يكونون عقبة في طريق الاصلاح *
وسدا منيعاً عن الوصول الى الفوز والنجاح * وفي
منتهى القول استلفت ذوي العقول الى النظر في
مقدمات الاصلاح والاستعداد له بالعلوم النافعه *
والافكار المستنيرة الساطعه * والتخلق بالاخلاق
الفاضله * والتحلي بالاعمال الحسنة الكامله * حتى اذا جاء
الحق أمكن دركه * وتجلى للناظر شكله ﴿ والله أعلم ﴾



الخاتمة

﴿ في قرب حصول مفهوم هذه البشارات مأخوذاً من الكتب السماوية والمصادر الالهية ﴾

قال دانيال عليه السلام في آخر سفر الرؤيا ﴿ طوبى لمن أدرك ألفاً وثلاثمائة وخمساً وثلاثين يوما ﴾ أي سنة كما هو اصطلاح كتاب التوراة * ونص عليه في مواضع كقوله ﴿ يوم لشانا ﴾ باللغة العبرية أي يوم لسنة كما ان اصطلاح القرآن المجيد التعبير عن اليوم بألف سنة ﴿ وان يوما عند ربك كألف سنة ﴾ ولا يحمل ابتداء هذه البشارة الا من الهجرة النبوية لا من يوم ذكرها وتعبير دانيال بها لان مفهومها الى الآن لم يحصل وقد مضى آلاف بعدها فتأمل * وهنا معان عاليه * وبشارات ساميه * نرجي التصريح بها الفرصة أخرى كي يكون القبول لها أحرى * وربما يكون في الستر حكمه * وفي الاخفاء نعمه * كما قال أحد أغصان الشجرة

النبوية * وسلالة العترة الطاهرة المحمديه ﴿ عليه آلاف من الصلاة والتحيه ﴾ السيد الامام زين العابدين بن الامام سيدنا الحسين بن أمير المؤمنين علي ﴿ عليهم السلام ﴾

اني لاكتم من علمي جواهره
كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
ورب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي
يرون أقبح ما يأتونه حسناً

وقال تعالى في القرآن الشريف ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ وقد علم مما حكاه تاريخ الاسلام وصدقته كرور الايام * ان قد تم نظام دين الاسلام وشيدت معالمه ونظمت قوانينه بالأئمة الى ان انقضت أيامهم في القرن الثالث الاسلامى * ثم ظهرت الاختلافات وأخذت العلوم والمعارف في الانحطاط * الى ان تم الالف

من ابتـداء زوال أنوار معارفه اللائحة بما اعتراها من
الاختلافات المذهبية * والاراء القومية * بعد مضي ثلاثمائة
فصدقت الآية المباركة بان أنوار أمر الدين ترجع اليه
في يوم كان مقداره الف سنة * واذ كان الامر في قرب
زمانه على مابينا فيلزم ان يكون كل أحد على حذر من
ان يأتي ذلك القائم وهو غافل لما ورد عن عيسى عليه
السلام انه «يأتي كاللص» أي حين غفلة الناس عن نزوله
فمن الممكن القريب الجائز الوقوع بلا ريب ان يظهر
الآن أو يكون قدظهر ولم يصلنا خبره * أولم نفهم من
أخباره سره * ولم لا مع ان الناظر في سير الاديان المتمعن
في كيفيـة انتشارها في العالم يرى ان أعاظم الاديان
المنتشرة الآن على سطح البسيطة لم تعلم للكافة * الا
بعد قرون مضت بعد مجيء مشرعيها * وذهاب مؤسسيها
والله أعلم بما جريات الاحوال * وتصاريف الامور
وابراز كل مقدور * وبمناسبة ذلك اذكر ماقال لي أستاذي
نقلا عن كتاب رآه في تاريخ المذاهب * وهو ان أحد

القسس ﴿ ويلم ميلر ﴾ أخبر بان الرب ينزل في ﴿ سنة ١٨٤٣ ﴾ ميلادي واتبعه ألوف من الناس وهذا الكتاب مطبوع في أمريكا فعلى رأي هذا القائل يكون قد مضى من ظهوره لهذا العام ﴿ أي سنة ١٩٠٥ ﴾ اثنان وستون سنة * والله أعلم بحقائق الاشياء وما يبديه في عوالم الانشاء ﴿ ومما يدل ﴾ على قرب وجوده أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ بعثت أنا والساعه كهاتين ﴾ مشيراً بالسبابة والوسطى * والمراد من الساعة في هذا الحديث ساعة قيام ذلك الموعود الذي تواترت النصوص الصريحة والاخبار الصحيحة على قيامه لان اشارة القرب بالسبابة والوسطى تعين ارادته لانه هو القريب الذي يكون قبل الفناء المطلق والخراب الكلى الذي يفسرون به الساعة * فهى على زعمهم ليست قريبة بل بعيدة لانه قد فصل بينها وبين ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قيام ذلك الموعود المحقق الثابت بالأدلة الصحيحة والبراهين القاطعة ﴿ انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾

وبما تقرر علم أن في الحديث دلالة على شيئين ﴿ الاول ﴾ المراد بالساعة ساعة قيام ذلك القائم ﴿ الثانى ﴾ قرب قيامه وانه لا يصح حمله على ما هو مشهور فيما بينهم من معنى الساعة ﴿ وهو الخراب الكلي ﴾ لانه لا يكون قريباً كما علم وعليه يكون قرب وجوده أمرا محققا وسرعة مجيئه خبرا صدقا ولو استقصينا أدلة قربه من الكتاب والسنة الصحيحة لخرجنا عن غرضنا المطلوب في هذه الرسالة من الايجاز * وبلغ التطويل معنا حد الاعجاز وفي هذا القدر كفاية للمتبصرين * فبموجب هذه البشارات من الاحاديث والآيات تطمئن أفئدتنا بقرب ظهوره * وتقر عيوننا باعلام بدوره * وتبتهج أقطار الارض ببشائر الفرح والسرور * وتزهو رياض المعرفة بانواع الزهور * وتبرز أراضي القابليات ﴿ كما هو منصوص في الوعود الالهية ﴾ كنوزها وأسرارها ويتجلى لاهل الخافقين تأويل قوله تعالى ﴿ وأشرقت الارض بنور ربها ﴾ والسلام على صانعي السلام وباني هيكل الوفاق

والوئام بين كافة الانام *

وهاهى عبارة الفيلسوف الشهير ﴿الكونت تولستوي﴾ الذي وعدنا بذكرها في آخر هذه الرسالة مع ملاحظاتنا بابداء بعض مانرى ذكره ضروريا في نظرنا كي نبين للعالم أجمع ان ﴿هذا الرأي﴾ الذي كتبناه فى هذه الرسالة قد اتفقنا فيه مع كثير من حكماء الشرق والغرب وعقلاء كل ذوي التدين من عجم وعرب * وان كنا نختلف معهم في طرق دوائها وأسباب ازالتها من بين الناس * وتبديلها بالسلم العام بين كل الاجناس *

﴿كتب الفاضل المذكور تلستوي﴾ رسالة في الحرب التي التهب نارها والتهم شررها ملايين النفوس من اليابان والروس التي ذهبت ذهاب الأمس بلا ذنب جنتها ولا جرم اكتسبتها * قد اشتملت هذه الرسالة باسلوبها الحكيم وتنسيقها المتقن المتين على نحو ثلاثة عشر فصلا كلها حكم تؤثر ونفائس تدخر * وقد عربها من اللغة الروسية جناب الفاضل ﴿سيد أفندي كامل﴾ أحد تلامذة مدرسة

الحقوق العاليه الخديويه (سنة ١٩٠٤) فأتت هذه الرسالة
جامعة لصفات الانسانيه * وتمثال الفضائل للهيئة
الاجتماعيه * وان كانت لا تخلو من قصور مع علوّها
المذكور ﴿شأن كل عاقل متفكر وحر مطلق النظر﴾
كتب في الخمسة الفصول الاول قبح الحروب وذمها
بما لا يبقى بعده كلمة لقائل وأصاب في ذلك كله * وان
كان لي بعض تقييدات لما أطلقه وتفصيلات لما أجمله
كما سيأتيك عند قص كلامه * وتوضيح مرامه * وهو
رأيي الوحيد الذي لا أرى خلافه جائزاً بحال من
الاحوال * ولا يسوغ الخروج عنه مهما عظمت الاهوال
فان الاسباب التي تقوم الحروب من أجلها * بل الدنيا
بأسرها لا تساوي قيمة شخص واحد فضلاً عن آلاف
وملايين النفوس البريئة التي تهرق دماؤها في سبيل
هذه الحروب * ثم أخذ يصف الدواء وأبدى فيه على
طريق الرواية جملة من ضروب الدواء ترجع بالآخرة
الى الدين * وبين ان التعاليم العصرية مهما علت درجتها

وارتفعت قيمتها ما لم تبن على أساس ديني وتمزج بروح الهي لم تزل ناقصة المعنى * ولم تفد الفائدة الكبرى * ولا توصل الى السعادة التي يرجى وصول الانسان في ترقيه اليها * هذا خلاصة ما أطال به في جملة رسالته ﴿ومعناه﴾ ان الانسان في طريق سيره الى سعادته لا بد ان يكون الدين قانونا له يرجع اليه وأساساً صحيحاً للبناء عليه * فالاصلاح والدين اخوان * وللوصول الى السعادة حليفان * ومن أراد الاصلاح بدون الدين * وزعم ان العلم يكفي للنظام بين الانام وان الدين بقية من الوهم العتيق الموروث في العالم فقد ضل ضلالا وأراد محالا * نعم ان هذا الرأي من ﴿تلستوي﴾ تبدو من خلال سطوره آيات الصدق * ويلوح من قوة مدركه لوامع الحق غير ان من تأمله وسبره وأمعن في وجوه معانيه نظره * يرى انه لا يخلو من قصور وملاحظة عليه في بعض الامور * وها أنا أقص عليك كلامه فصلا فصلا * واتبع كل فصل بما يلزمه من تقييد أو تفصيل

﴿ قال في الفصلين الاولين ﴾

قامت الحرب فتجددت معها الآلام على غير جدوى وتحول معها ابن آدم من الانسانية الى الوحشية حيث يرى الآن في ساحات القتال وميادين النزال المئات بل الالوف من الرجال على فريقين بين بلدانهما من البعد ما بين المشرق والمغرب منهم بوذيون لم تحرّم فقط شريعتهم قتل الانسان بل حرمت أيضاً قتل الحيوان ومسيحيون أخذوا على عاتقهم بث روح الاخاء والسلام والولاء وهما يسعيان للقتال والتهالك على الارض وفوق الماء باشد ما يمكن من القسوة والعنف والشدة ﴿ أجل ﴾ ان الياباني الساذج الفقير المسوق من غيطه الى ميدان القتال والغرور متحكم على قلبه لا يؤدي هذا العمل الفظيع الا بعد ان أوحي اليه ان البوذية لا تخص بالرأفة كل حي وانها تحتم القساوة على الكفار كما لا يؤديه الفلاح الروسي الجاهل الا بعد ما تشبع اعتقاده بان المسيحية تحضه الى ارتكاب أكبر جناية الى قتل اخوانه

في الانسانيــة وان في هــذا العمل منتهى الفخر وغاية الفوز المبين *

﴿فعجبا﴾ لأناس متنورين كما يقال عنهم وعجباً لما يفعلون اذ كيف يستطيعون تمجيـد الحرب وتهيئـة معـداتهـا وتحريض الاغيـار على الانتظام في سلـكها وارسـال اخوانهـم البؤسـاء المغرورين الى ساحاتهـا وهم هم من أهوال الحرب مبعدون * اننـا اذا ضربنا صفحاً عـن الشريعـة المسيحية التي يدعون انهم في جانبها مخلصون فليس في وسعهم مع ذلك جهـل ما كتب وقيـل عن فظائع الحرب واضرارها ورزاياها لان علمهم بذلك من أسباب عـدادهم ضمن الرجال المتنورين فضـلا عن ان السواد الاعظم منهم كتب أو خطب في هذا الموضوع فهل أراني بعد ذلك في حاجة الى تذكير العـالم بما قيل مديحاً في مؤتمر السـلم الذي انعقد في ﴿ لاهاي ﴾ على صفحات الجرائد * وفي بطون الاسفار * وتحويل الانظار الى ماسطر فيها عن امكان حل المنازعات الدولية بالرجوع

الى محاكم تحكيميه ﴿ان الرجال المتنورين﴾ يعرفون حق المعرفة ان قيامة الامم بعضها على بعض لابد من ان تقودها الى تخليد الحروب أو الى افلاس عام أو اليهما معا * ويبعد عليهم عدم وقوفهم على ماتتكبده الشعوب من فقد الاموال المنصرفة في سبيل التجهيزات الحربيه والتي لاتقدر الا بمليار الفرنكات فضلا عن هلاك ملايين الرجال وخيرة الابطال * الذين ينزعون من بين أشغالهم في أثمن دور من أدوار حياتهم * وها قد طوت المنون في القرن التاسع عشر أربعة عشر مليونا من النفوس بعد ان شربت من البؤس أمرّ الكؤوس *

لايجهل العارفون المتنورون ان الحروب محدودة باسباب لا توازي فقط قيمة فرد واحد من الذين يهلكون في سبيلها بل لا تكافئ أقل قيمة مما تستدعيه هذه الحروب من النفقات الباهظة الفاحشة فقد بلغت مثلا نفقات الحرب التي أشعلت لتحرير الزنوج عشرة أمثال ثمنهم جميعهم ﴿كذلك﴾ يعرف العالم أجمع ان الحرب أثبت

في نفوس الرجال أحط الطباع البهيميه* وأدنى الاميال الشهوانيه التي تحول هذه النفوس الى الوحشيه وليس لما حفظ من الاقوال الشائعة« لمولتك» واضرابه تأثير على ماذكرنا لان هذه الاقوال مبنيه على المبدإ الصوفي القائل بان لنا من كل فاجعة ركنا مفيداً أو ان الحروب قديمة الوجود وبناء عليه وجب بقاؤها أبداً وهذا يرجع الى الرغبة في تزكية أمور منحطة حرصاً على فائدة منها أو لانه تعود عليها زمناً طويلاً *

كل هذا معروف لدى أهل العلم الا انه اذا أشعلت الحرب ناراً* واحتدمت أوارا* أصبحت هذه المعلومات في عالم النسيان أو الخيالات وانقلب الذين كانوا بالامس يبرهنون على فظاعتها وعارها وشناعتها يفكرون في اختراع محاصد جديدة لرقاب بني الانسان وآلات للتمكن من تخريب ماشاد وأقام من العمل الانساني ويسخرون أنفسهم لايقاع النفرة بين الرجال الهادئين الذين يطعمونهم ويلبسونهم مما يشتغلون وذلك

باكراههم على ارتكاب عمل كله اثم وعدوان ينكره الوجدان *

﴿ان امبراطور الروسيا﴾ الذي كان بعينه يدعو جميع الشعوب الى الاتحاد والوئام قد أعلن أمته بانه رغماً عن بذل أقصى جهده في المحافظة على السلم الذي يميل اليه قلبه ميلا عظيما أمر بناء على ما أبداه اليابان من الهجمات في إبان الحرب بمقابلة الفعل بالفعل أعني بقتل اليابانيين والذي تعرفه عن هذا الجهد هو انه بذل في سبيل الاستحواذ على أراضي أجنبية وفي تحصينها قوى كثيرة لحمايتها * ثم ان ﴿الامبراطور﴾ عند استدعائه الشعب الى القتل والفتك دعا الله أن يقدس أبشع وأفظع جناية يمكن ارتكابها كذلك فعل ﴿امبراطور اليابان﴾ وعبر عن الروس بما عبر به ﴿أمبراطور الروسيا﴾ عن اليابانيين *

﴿ثم﴾ قام رجال التشريع وأجهدوا أنفسهم في البرهنة على ان الدعوة العامة الى السلم لا تناقض مطلقاً اعلان حرب بشأن ملكية أراض * وأبدت السياسيون بنشرات

مكتوبة بلغة فرنسية واضحة فصيحة وباعتناء زائد وتفصيل
كاف ان الحكومة الروسية لم تلجأ الى الحل الوحيد
المعقول الا وهو القتل الابعد مخابرات عديدة ترمى
الى تثبيت دعائم العلائق السلمية * وما هي في الواقع الا
مخابرات كتبت لخداع الدول الاخرى * وقام العلماء
والمؤرخون والفلاسفة بقياس الحاضر بالغابر * فخاضوا
عميق المباحث وداروا حول نواميس الحركة الاهلية
والعلائق بين العنصر الاصفر والعنصر الابيض والبوذية
والمسيحية * واستنتجوا مما بحثوا تبرير الحرب وزكوا ما
كتبوا قتل المسيحيين لاقزام صفر الوجوه كذلك
زكي أهل العلم والفلسفة من اليابان قتل البيض *
﴿أما رجال الصحافة الروسيه﴾ فمسرورون بالحاجة التي
ينشدونها وليس لديهم أكثر من تكالبهم على
الكذب في أمور بديهية وهم يؤيدون بجميع أشكال
البيان ان الحق والقوة وسلامة المبدأ هى فقط في جانب
الروسيين * اما الخطأ والضعف وسخافة الرأي ففي جانب

اليابانيين* وبئس كل منعطف عليهم مثل الامريكان والانجليز ﴿ ولا شك ان اليابانيين ﴾ وأنصارهم يفعلون فيما يخص الروسيين مثل مايصنع هؤلاء الاخيرون بهم ﴿ أما الروسيون ﴾ المتعلمون كبيرهم وصغيرهم فيظهرون بغضاً واحتقاراً لليابانيين والانكليز والامريكيين* وكانوا بالامس يظهرون لهم مظاهر الانعطاف والتواد * وفى الوقت عينه تراهم يبدون للقيصر أحط العواطف وأخس مظاهر العبودية وهو على الاقل لا يهمهم ويؤكدون له اخلاصهم الاكيد وحبهم العظيم * ورغبتهم في تضحية نفوسهم من أجله * وهو هو الشاب المسكين القابض على زمام مائة وثلاثين مليونا من النفوس يصدق كل هذه المظاهر التي لا يسعه ازاءها الا الشكر * وارسال الجيش الذي يعتبر ملكا له الى حيث يجزر للدفاع عن أراض يعدّها من متاعه وليس له كبير حق فيها * ﴿ والاغنياء ﴾ يتبرعون من واسع ثروتهم التي موّلوا بها أنفسهم للتنافس في المساعدة على الفتك والقتل والبلاء

حتى الفقراء من الروسيين يقلدون الاغنياء منهم فتراهم يقدمون ما ملكت يداهم للحكومة فضلاً عن مليارين روبل يدفعونها ضريبة في كل عام *
وتحرض دوائر السلطنة الروسية فئة لا اخلاق لها ولا عمل على السير في الطرق العمومية حاملة رسم القيصر هاتفة صائحة تحت غطاء الوطنية بما لا يليق ولا يجب فعله * أما القسوس الذين يظنون أنفسهم مسيحيين فيدعون ربهم أينما حلوا في سراي «الامبراطور» أو أحقر كوخ ويطلبون منه العضد والعون على عمل شيطاني هو قتل الانسان مع ان الله جل وعلا لا يأمر بالعدوان وعلى هذا يسير الالوف من الرجال بلباس واحد ومع كل منهم عدد ذبح الانسان * وقد أدهشت عقولهم أقوال التعزير * ومظاهر الخداع تاركين « والصدور منقبضة وان تبسمت الثغور » أهلهم ونساءهم وأولادهم الى حيث يقتلون بقتل رجال غيرهم لا يعرفونهم من قبل ولم يتعرضوا لهم بسوء *

ثم يتبعهم الاطباء ويلحق بهم الراهبات الممرضات اللاتي من عجيب أمرهن عدم استطاعتهن تمريض المرضى أيام السلم وقيامهن بهذه الخدمة للذين يشتغلون بقتل أمثالهم في الانسانيه * أما الذين يبقون بديارهم فينتظرون أخبار المذابح الفظيعه فان كان عدد اليابانيين الذين قتلوا في واقعة من الوقائع عظيماً هللوا وشكروا مايسمونه الهاً فهذه الاحساسات وتلك المظاهرات تعتبر كدليل على أشرف وأعلى ادراك انساني بحيث ان الذين يرفضون التظاهر بها والسير على منهاجها ويحاولون اسماع اخوانهم كلمات الحق وصوت الصدق فهم خونة وفي خطر من اهانة الغير لهم أو من تمزيقهم أشلاء بفئة من الضواري التي لاتزكي قساوتهم وغباوتهم بغير العنف والوحشية اه *

فأنت تراه في هذه الفقرة قد عاب على كلا الامتين ماقد خالفا فيه أوامر دينهما وان دينيهما يحظر ان عليهما قتل الحيوان * فضلا عن الانسان * ولكن لم يذكر

سبب ذلك الاهمال وهو ان القلوب خوت من روح الدين * ولم يبق منه في كلتا الامتين * سوى ارتسامات ظاهريه * وأسماء من المعاني خليه * ولو تشربت قلوبهم محبة الدين أو لو عرفوا سموّ مقاصده الداعية بالطبع لابطال الحرب ونشر السلم بين الخلق لما كان رؤساء الاديان منهما تفتح لاثارة الحروب * واتقاد نيران القلوب بابا لم يقفل حتى أخذ من النفوس والاموال مالم يحصه الا العارفون باحصائيات النفوس والاموال ولو بقيت هذه الاموال * وصرفت في وجوهها من الحلال لما أبقت على سطح البسيطه فقيراً يشكو سوء الاحوال * ويتضرع جوعا من انسداد الطرق المعاشيه في وجهه ولو بقيت هذه الرجال التى ذهبت في تيار نسف المدافع * أو طعمة لحد سيوف الشره والمطامع ونيطت بهم أعمال تعود بالمنافع على بقية اخوانهم العجزة والشيوخ والصبيه * لكان للعمران بهم بشرى * ولولاة أمورهم بهم ذكرى * ولكن كان فضل ضياع

الدين من العالم نتيجة حرص الرئيس على لقمة يطعمها وهو نائم ذلك الحرص الذي أدى الى هذا الفساد وذلك الخراب الذي قد ساد ﴿

فترى رؤساء الاديان ينزعون صبغتهم الدينيه ويتجردون من حليتهم الشرعيه * للتقرب الى الملوك بتحسين آرائهم وينتحلون الطرق السافلة لتنفيذ أهوائهم * ويبدلون محاسن الدين برذائل منتحلاتهم * وقبيح تصوراتهم * وكفى على ذلك شاهداً ودليلا مايفعله دعاة الانجيل ومبشروا المسيحيين * فانهم لاهم لهم الا ماينقدونه من جمعياتهم وباعثيهم ولا أثر للدين فى قلوبهم من الرهبة والجلال * ولا في أعمالهم من الخضوع الديني والامتثال فعلى من يقوم باصلاح الامم ان يبدأ باصلاح التعاليم الدينية * والأوامر الالهية * ويبين للناس حكمها ومقدار منافعها حتي يعرفوا ان الدين ليس فقط اسما وانما هو امر معقول المعنى جليل المبني وهيهات ان يكون ذلك لبشرى لم يؤيده الله بقوة نفوذه * وقدرة

تأثيره على جميع الامم * والتوفيق بين العالم * كما أخبرتنا
بمجيئه الكتب السماويه * في جميع الشرائع والاديان *
ووضحتها الانبياء وكشفت الغطاء عن مجمل الآيات
والبشارات الواردة في مجيئه * فاذا جاء ذلك الموعود *
وبرز وعد الله المحتوم * من حيز الخبر الى عالم الوجود
فقد جاء الامن والسلم *وبطل الحرب والظلم* ولا يبعد
ان يكون استعداد العالم لقبول هذه الافكار وقيام
مثل «تلستوي» في حكومة مطلقة بالنداء بما في
وجدانه من تقبيح حالهم وسوء مآلهم ايقاظ مؤذن
فجر ذلك النهار * وبرق ذلك الغيث الذي يعم كل التلال
والديار * والله أعلم بما تبرزه الاقدار والملك لله
الواحد القهار *

《 ثم قال في الفصل الثالث الى نهاية الفصل الخامس 》
انا كلما تطلعنا الى ما حولنا من الاضاليل لا نكاد
نصدق بوجود فولتير ومنتاني وبسكال وسويفت
وكنت وغيرهم من النابغين المفكرين الذين أبانوا للعالم

اضرار الحروب ومثالبها وصوروا له فظائعها وصفاتها القاسية غير الادبية واللصيقة بالوحشية البعيدة عن الاطوار البشرية بل لانكاد نصدق على الخصوص بوجود المسيح وتعليمه مبادئ الاخويه وحب الناس بعضهم لبعض *

فما تذكرنا ما كتبه هؤلاء الفلاسفة المفكرون ولا تأملنا فيما هو واقع الآن بين الناس الا تولانا الجزع * واستولى علينا الفزع * لا من أهوال الحروب ونكبات صروفها بل مما هو أشد هولا وأعظم نكبة ألا وهو ضعف العقول البشرية التي هي ميزة الانسان العليا فقد تجلى العقل كتابع مشؤوم قيد الهمة وضايق العزمة كما ضايق الزمام الفرس وقد وقع من رأسها وعاق بين رجليها فعاقها عن سيرها *

أجل اذا فهمنا ان مسيحى القرون الوسطى كان يصدق من غير تفكير اشارات الكنيسة فضلا عن أوامرها وان الوثني رومانيا كان أو يونانيا كان يستطيع مقاتلته

فكيف نفهم أن رجلا مسيحياً من أيامنا هذه أو حراً في اعتقاده تداخل نفسه رغماً عنه في اسمى المبادئ المسيحيه من حيث الحب والاخاء اللذين تقيم شعارهما وتثبت دعائمها أعمال الفلاسفة وقادة النفوس والمشتغلون بالفنون الجميلة في عصرنا * كيف أن رجلا هذا شأنه يستطيع حمل السلاح والوقوف بجوار مدفع ليرمي بمقذوفاته على اخوانه في الانسانية رغبة في تلاشي أكبر عدد يستطيع اهلاكه *

كان اليونان والرومان لا يشعلون للحروب ناراً الا وهم معتقدون بأنهم مدفوعون بوجدانهم حتى كانت تظهر الحروب في عيونهم بمظهر العمل المجيد * لكن المسيحية العصريه وان أخذت شكلا جديداً لا تجعل أهلها يهزون أكتافهم اعراضاً عن اسمى درجة التعقل التي تدرك بها مقدار قساوة الحرب ومخالفتها لكل ما نعتبره عملا صالحا مطابقاً للعقل فنحن أذن لا نقدر على الدخول في حرب بوجدان هادئ وضمير مستريح * وهذا هو الواقع

فانه ليس فيما يسمعه الامبراطور من عبارات المحبة والاخلاص الكاذبة والاستعداد الى تضحية الارواح من أجله والدفاع عن أرض لا يملكونها وباطل التقديسات وفاسد التعبدات وفيما يقوم به الناس من الاعمال الخيرية بما في ذلك دفع الاعانات لسفينة الصليب الاحمر التي تولت عليها الحكومة الروسيه وكان أول واجب عليها ان لا تعان الحرب الا بعد تأكدها من موارد ضرورية لهذه السفينة ولاعانة الجرحي ولا فيما يبديه الناس من المظاهرات وما تقوله الجرائد الروسية من الاكاذيب وفيما هو سائر الآن من الاضطرابات على جميع الطبقات العالية من الهيئة الروسية ليس في ذلك كله الا علامة على جحود الضمائر لهذا العمل الفظيع *

ان الوجدان لينذر الناس بسوء ما يفعلون لكن المجرم القاتل الذي ابتدأ في ذبح فريسته لا يستطيع الوقوف أبداً كفا عن هذا الفعل بل يستمر مستجمعاً من نفسه

المضطربة قوة حتى يكمل جريمته كذلك الروسيون يرون استمرار الحرب أمراً لانزاع فيه لانه مادامت الحرب قد ابتدأت فلا بد من امتدادها وبمثل هذا يتفكرون ويحكم الرجال البسطاء الخاضعون للسلطة البهيمية والاميال المنحطة السافلة والذين هم أوسع منهم علما وأبعد نظراً لايفهمون ولا يتصورون خلاف ذلك فهم يثبتون ان لا وجود للقوة الاختيارية وانا لو علمنا بفساد عمل سرنا فيه لا نستطيع ان نوقف أنفسنا عند الحد الذي علمنا عنده بضرر العمل وعلى هذا تتبع البهيمية الانسانية عملها المشؤوم *

لو انك سئلت جنديا بسيطا عن الاسباب التي حملته على ترك أولاده وامرأته وأهله وانتظامه في سلك الجندية وتهيئه لقتل رجال لم يعرفهم من قبل لاندهش من سؤالك في بادئ الامر فهو يعرف انه عسكري حلف اليمين وانه يجب عليه طاعة أوامر رؤسائه * فاذا قلت له ان الحرب التي كان يعبر عنها بالفتك والقتل في

الازمان الماضية تناقض أوامر الله القاضية بعدم قتل النفس التى حرم الله قتلها أجابك ﴿ وما نصنع ان هجم علينا الاعداء أليس القتال باسم القيصر الشريف والشريعة الارثوذكسية المقدسه ﴾ ولقد سألت جنديا هذا السؤال عينه فأجابني بجواب آخر ﴿ وماذا نفعل ان أراد العدو الاستيلاء على الرمز المقدس ﴾ قلت وما تقصد بالرمز قال ﴿ العَلَم العلم ﴾

فلو حاولت ان تشرح له ان الامر الالهي أهم وأدعى للاحترام والطاعة من كل علم وراية ولواء * بل من كل شيء في الحياة الدنيا لعبس من قولك وحزن وحوّلك على رؤسائه الذين يجيبونك على سؤالك *

وان سألت ضابطا هذا السؤال عينه أجابك انه حربي وان الحربيين ضروريون للدفاع عن الوطن وهو لا يشغل ذهنه بعد ذلك للوقوف عما اذا كان قتل الانسان مطابقاً لروح الشريعة المسيحيه أم لا وهو يقول فوق ذلك ﴿ ان الوقت الذي فيه يكون الوطن على

خطر وجبت الاعمال لا المناقشة والاقوال *

سل بعد ذلك السياسيين الذين تنشب بسبب ريائهم وخبثهم في الغالب الحروب سلهم عن الغاية التي يرمون اليها يجيبوك انهم واضعون تحت انظارهم أمر المحافظة على السلم بين الشعوب وانها قد حققت هذه الغاية بفضل اجتهادهم في تحقيقها * ولعل هذا الاجتهاد هو المقصود بما يفعلونه عند تجهيز الحرب * ثم يشرحون لك مصالح الروسيا وخبث نوايا الممالك الأخرى والتوازن الاوروبي وما يتعلق به وهم لا ينطقون ببنت شفة شرحا عما يسمونه اجتهاداً في سبيل المحافظة على السلم *

ثم سل الصحافيين لماذا يدفعون بالناس الى الحرب هناك يقولون لك الحروب ضرورية بل نافعة وخصوصاً الحرب الحاضرة من أنفع الحروب ثم يؤيدون هذه الفكرة بجمل مبهمة سابحة في بحر الوطنية بحيث لا تخرج منها بغير نغمتي الوطن والوطنيه *

فكل الذين من أنصار الحرب أو من مجهزيها يجيبون

اجابة مبنية على أسباب واحدة وربما قبلوا الاعتقاد بمضار الحرب عموما انما يستحيل عليهم قبول مثل هذا الاعتقاد في الظروف الحاضرة وجميعهم يعملون ولا يفقهون لما يصنعون *

﴿أما القيصر﴾ فلا يجيبك بشيء غير ذلك وقد يدهش كالجندي ان سئل عن الحرب بمثل ما سألناه *

وربما بعد عن فكره امكان ايقاف رحى الحرب الآن اذ يقول لك انه يستحيل عليه ان ينزع رغبة الامة الروسية من صدور افرادها وان كان يعرف ان الحرب مصيبة كبرى وانه قد استعمل كل ماله ديه من الوسائط لتأييد السلم وابعاد الحرب * وما زال مستعداً لذلك في كل حين لكنه في الحالة الحاضرة لم يستطع غير اعلانها والعمل في حفظ قوامها * معتقداً ان هذا لصالح الروسيا ومجد الروسيين *

واذا سألنا افرادا كيفما كانوا زيداً وعمراً وبكراً من الناس عن العلة التي خولت لهم العمل في صالح الحرب

في الوقت الذي يعلمون فيه ان الشريعة المسيحية لا تحرم فقط قتل الانسان بل تحتم على المسيحي حب جاره أجابونا دائما انهم يعملون ذلك حبا في الوطن أو الشريعة أو الشرف أو المدنية أو حباً في خير مستقبل الانسانيه * وبالاجمال حباً في أمر مبهم غامض كل الغموض * وقد بلغ انشغال الناس على ذلك بتجهيز الحرب * وأحوالها مبلغاً جعلهم ينسون معه حياتهم فغفلوا عنها واعتبروها أمراً دنيأ * مثل حال الانسانية الآن مثل سائح ضل فسلك سبيلا كلما سار فيه تبين له خطأ الطريق * وكلما ازداد اقتناعا بخطئه استحث جواده في عدوه وبنفسه أمل الوصول الى المنتهى المقصود ثم هو لا يزال يوغل في مجاهل الطريق حتى تأتي له لحظة يرى فيها جلياً ان سيره قد أوصله الى هوة بينها وبين أول السبيل بعد طويل *

ومعنى ذلك اننا لو قضينا الحياة كما نقضيها اليوم بان كانت الرغبة في السعادة الشخصية أو السعادة الوطنية

هى الغاية الوحيدة من أعمالنا الفردية أو الاشتراكية وكان سعينا وراء تحقيق هذه السعادة باتخاذ العنف واسطة والقهر مبدأ فنحن نضاعف دائما في وسائل الشدة والقوة شخصية كانت أو اجتماعية أو دولية ونخرب ماتملك ايدينا باستهلاك أعظم محصولنا على القتال والتسليح ونحط بانفسنا أدبياً فضلا عن تضحية أقوانا جسما وأعزنا نضارة وعمراً في الحروب *

نعم هذه النتيجة التي لا بد منها اذا نحن لم نغير كيفيات تصرفاتنا العملية والا فقد بانت الهوة التي نسير في طريقها حيث قد شعر أصغر الفلاسفة منا وأقلهم اطلاعا بموقفنا وما يحيط به من الاخطار وبالطريق الذي نحن اليه مساقون *

ان من سكنت قلبه الطهارة وثوت فيه السلامة لا يعرف لنفسه تعزية من امكان وجود وسائط لاصلاح هذه الحالة السيئة * اذ قد كانت تصح التعزية للانسان في ظروف معلومة فى سابق الازمان عند ما كانت حكومة

رومية ثم شارلمان * ثم نابليون صاحبة السلطان على جميع البلدان بل عند ما كان للباباوية من النفوذ المعنوي والسلطة الادبية ما كان وللاتحاد المقدس بعد ذلك من عظم الشأن * نعم كانت تصح عندئذ التعزية ولكن ما العمل * وقد انفصلت الامم بعضها عن بعض بفواصل طبيعية أو سياسية وأصبح أمر أنشاء جمهورية أو مملكة ذات سلطة عامة على العالم من المحال بما ان الامم ترفض الالتئام لتكوين مملكة واحدة على هذا النظام أنرجع الى المحاكم التحكيمية للفصل في منازعاتنا الدولية ﴿ اذا كان كذلك فمن يكره الملوك على الخضوع تحت أمرة هذه المحاكم وهم هم مسئولون عن الملايين من الرجال جنودا ﴾ أم نرجع الى القول بوجوب نزع الاسلحة وليس من يبدأ برمي سلاحه أو يريد له نزعا وهل يفيد اختراع آلة هوائية مفرقعة داخلها القنابل والمواد التي ان فرقعت أحدثت إختناقا فهابها الناس وأصبحت معها الحروب أمراً محالا ﴿ كلا ﴾ اذ هنالك

لا يألوا الدول جهداً في الحصول على هذه الآلة ويحسي الانسان * وقد كان لا ينصب عليه غير قذائف البارود تحت مطر هذه المواد وخطر الاختناق منها *

﴿ هذا ﴾ وليس بعد ماخطبه الوزير مورافيف والاستاذ مارتنس محاولة منهما في اقناع الناس بان الحرب ضد اليابان لا تناقض مبادئ مؤتمر السلام بشيء أقوى بيانا وأسطع برهانا للدلالة على ان الكلام الذي هو الواسطة في تبادل الافكار * وفيما يود التعبير عنه قد أخذ في هيئتنا الاجتماعية شكلا من ضروب الاحتيال وصنوف المغالطة صار معه نور الفكر الجلي تائها في ظلمات التمويه كأن الكلام لم يكن مرشداً في الحياة الانسانية بل عاملا لتأييد كل عمل بشع فظيع * لكنها الاقوال وان كان ظاهرها الحق فلا يخفى باطنها الباطل ولا يؤثر طلاؤها الماطل على فكر المتمعن * ثم لا تزيده هذه المغالطة الا تنبهاً الى الهوة السائرة نحوها الانسانية ويقيناً بخروج مركزها وعلما بانه لا نظام جديد يمكن

استنباطه حتى تنجو من الخطر المحدق بنا والضياع الذي نحن في سبيله سائرون *

دع عنك الاخطار الاقتصاديه وما يحيط بها من الاشكالات التي يتفاقم خطبها من أجل الحروب يوما بعد يوم * فان مصائب توتر العلائق وفتور الروابط بعد التقاتل وخبائث التفاهم ومساوي الظنون عند وقوع خلاف وقيام نزاع ادهى وأمر وهي تدل جلياً على أن الانسانية تسير فى طريق هلاكها بخطوات حثيثة وهذا كله مما يجعلنا نتساءل عما يجب علينا عمله حيال هذه الحال اه

﴿حاصل ما أبداه﴾ في هذين الفصلين اننا مادمنا سائرين وراء سعادتنا المادية ولم نعرف لحياتنا حكمة ولا معنى سوى ذلك ولم نعرف جوابا للسؤال عن فائدة هذه الحروب ومنافعها أو مضارها وان كل مسئول يجيب بمقدار ما وصلت اليه افكاره التي أملتها عليه أمياله وان القائمين بالزعامة في الامم من الصحافيين ورؤساء الدين هم الذين يثيرون نيران هذه الحروب بتمويهاتهم الباطله

وترهاتهم العاطله * ولم نصادف حلا صحيحاً لسؤال لم خلقنا ولاي شيء نحن مسوقون ولم نغير خطة سيرنا ونتلافي اصلاح شؤوننا بالتعاليم المفيده ومعرفة جواب ذلك السؤال معرفة صحيحة فلسنا ناجحين ولا الاصلاح راجين انتهى *

ولعله يريد بالجواب الصحيح ان يكون التعليم دينياً ونحن لاننكر هذا الجواب في ذاته عليه وانما نوجه ملاحظاتنا اليه من وجهة خاصة * تلك ان الدين الحاضر المورث بالتقاليد عن الاباء والرؤساء بعد ان صيروه علة لشهواتهم وبغية لمفترياتهم لا يعرفون منه الا رأي «الاب فلان نقلا عن المطران» ان الصيام مثلا صار كذا بعد ان كان وكان * وان الحرب مثلا حلت بعد ان منعتها الاديان في غابر الازمان لما روي مناسباً الآن وهلم من التغييرات والتبديلات اللاتي أحدثتها الرؤساء للاغراض والشهوات وتغيرت معالمها في كل الاحوال والصفات فما معنى الرجوع الى هذه الانقاض الباليه

والوضوح لهـذه الاراء السافلة التي مثلت لنا مبلغوها في شرقنا وهم المبعوثون بامـداد الجمعيات ﴿ المقـدسه ﴾

﴿روايات هائلة لسنا في حاجة الى ذكرها﴾

أتروم ياجناب الفيلسوف الشهير الذي احترمك وأقدس وأجل أفكارك الساميه وآراءك الصائبه ان ترجعنا الى ماهو أضر بنا من ازهاق نفوسنا تحت أرجل الخيل في معامع النزال اني وايم الحق لـكنت من المتشوقين الى الاجتماع برؤساء الاديان من الغربيين علني اهتدى برأيهم في تصحيح عقيدة لما كان يقرع سمعي من الطنطنة بتقدم الغرب والغربيين * وعلو افكار المتعلمين منهم وبالاخص السائحين فما كان من اجتماعي بهم ومحاورتي معهم الا ان خرجت بعقل غير ما دخلت به ودخلت في عالم غير عالمنا الارضي ﴿عالم يجوز فيه اجتماع الاضداد﴾ ولا بأس فيه من التناقض في الاعتقاد * وسعادته منوطة بفرض المحال * وكل المتنافيات فيها متوافقات *

وبالجملة فقد خرجت من بينهم مبهوتا ومن سماع كلامهم

محزونا فندبت الغرب وترقيه وبرئت من الدين الذي هو فيه * أين الدين الذي تأمر بالرجوع الى تعاليمه * اننا معشر المسلمين * مع مالدينا من المزايا التى لم توجد في غيره من الاديان وقوة ما أنكره من البدع والتلفيقات وكثرة مافيه من تحرير العقول والافكار والاستقلال في الانظار ننتظر له مصلحاً يقوّم ما أعوج من معالمه يمده الله بقوة من عنده * ويؤيده بقدرة من لدنه حتى تكون قوته فوق القوى البشريه * وكلمته صادرة من القوة التشريعيه * التي تخضع كل سلطة لعظيم سلطانها * وتخر العوالم لقوى برهانها فما علينا اذا أيها الفاضل الكبير الا ان نقوم بقدر مافي المكنة البشرية لاصلاح ما فسدت من التعاليم الدينية بما يتطابق مع المعقول ولا يأباه صحيح النقول * فاذا وصلنا الى نتيجة حسنة من الدين أمكننا الاصلاح العمراني بقدرها ونكل تمامه لرب العالمين متولى شؤون عباده برحمته ورأفته *

﴿ انه هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير ﴾

﴿ ثم قال في الفصل السادس ﴾

كان يوحنا المعمداني وعيسى بن مريم يقولان للناس منذ عشرين قرنا قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فآمنوا بالانجيل (١) ﴿ وان لم تتوبوا تهلكوا جميعكم ﴾ (٢) لكن الناس لم يسمعوا نصائح المسيح ولم يتبعوا ارشاداته فصارت البلية التي حذرنا منها ونبأنا بها على قاب قوسين أو أدنى * ونحن في هذه الايام لا نستطيع انكارها حيث قد شاهدنا وشعرنا باننا في طريق الضياع سائرون لانه يستحيل علينا ان نقف على مايمسنا فقط من جراء الحروب وما يتبعها من سيئ النتائج ووخيم العواقب مع صرف النظر عما يحيط بحياتنا الشقية من باقي المصائب ولا نعتقد اعتقاداً يجعل الشك له منفذا بان الحروب سبب هلاكنا لا محالة كما أنه يستحيل علينا أيضاً ان نجد كمالا من الوسائل المستنبطة للفيئة تحت ظلها فرارا من هذه الكوارث ولن نجد من هذه الوسائط ظلا ظليلا بخلاف موقف الشعوب المحزن التي

تنزع الى العداء والقتال فهو لا يزداد الا قوة وثباتا
لهذا كنا نحن المقصودين في هذا العصر بأقوال المسيح
ان معنى التوبة من قول المسيح هو انه يجب على كل
انسان أن يقف عن عمله المتحمس فيه ويسأل نفسه من
أنا ومن أين أتيت وما هي مهمتي في هذه الحياة حتى
اذا ما أجاب على هذه الاسئلة وجب عليه ان يقرر اذا
كان ما يصنعه مطابقا لمهمته أولا وانه يكفي في هذا
العصر لكل فرد من الواقفين تماما على روح الديانة
المسيحيه ان يقف بنفسه قليلا وينسى ما يقوم به من العمل
امبراطوراً كان هذا الفرد أو عسكريا أو وزيراً أو
صحافياً ثم يتساءل بعد ذلك عمن هو وعن مهمته وهو
يداخله الشك توّا في فائدة وصواب وحكمة عمله *
ثم قبل ما يكون الواحد منا أمبراطوراً أو عسكرياً أو
وزيراً أو كاتباً يجب عليه ان يعرف قبل كل شيء انه
انسان أي كائن وقتي مبعوث بارادة عالية ليقيم لحظة في
عالم لا يحده الزمان ولا الفراغ ثم يموت بعدئذ أعني يختفي

ويفني لهذا كانت العزائم والاعمال الفردية والاشتراكية والشعبية بل والدولية التي نرمي اليها أو نكره من آخرين عليها سريعة السقوط قريبة الزوال تبعاً لناموس الحياة البشرية وأزلية الحياة الكونية ويجب ان تكون عزائمنا ذات ارتباط بالمقصد السامي الذي من أجل تحقيقه بعث الله الانسان في هذا الكون *

حقاً انه مادام وجودي في هذا العالم محدوداً فانا لا أستطيع أن أصل الى هذا المقصد لكن ذلك لا يمنعني عن معرفة وجود غاية لي حيث ان كل موجود لا بد له من غاية وان الغاية من مهمتي هي أن أسعى الى هذا المقصد السامي أو بعبارة أخرى ان المقصود من مهمتي أن أكون تحت أوامر الله وان أنفذ صنعه وارادته فلو عرف كل واحد من الامبراطور العظيم الى الجندي الصغير مهمته في هذه الحياة لما نظر الى واجباته بالعين التي ينظر بها الان أو التي يرغم على النظر بها ولحق للامبراطور ووجب ان يحدث نفسه بمثل هذا القول « إنني قبل

ماتتوجت عاهدت ووعدت أن أؤدي بحق ماتأمرني
به الارادة العالية التي منحتني الحياةوما كنت لاعرف
فقط هــذه الوعود والمواثيق بل كنت أشعر بها قلبياً
واعلم ان مغز أهل الخضوع للارادة الالهية القاضية بحب
الجار والعمل له بما أود أن يصنعه لي فهل أنا أطيع لهذه
الارادة المقدســة والحال اني آمر رعيتي بارتكاب
الشــدائد من الجرائم والحرب التى هى أفظع الشرور
وأكبرها وبالا * يقول ويؤكد لي النـاس بوجوب
ترأسي هذه الاعمال الشريرة من فرض ضرائب باهظة
وتوقيع عقابات قاسية وأشغال حرب نارية لهلاك أمثالي
في الانسانية فهل كنت لاوامر الله مطيعاً * فالجندي
الذي رسخ فى اعتقاده ان القتال واجب باسم الدين
والقيصر والوزير الذي يظن واجبه في تجهيز الحرب
والناشر كاتباً كان أو صحافياً وبالاجمال أي انسان على
الاطلاق عرف من هو ووقف على حقيقة مهمته فوق
هذه البسيطة لابد له من مناقشة المسألة على مثل هذا

الشكل بحيث انه بمجرد مايمسك رئيس البلاد عن اعلان الحرب ووزيرها عن تحضيرها وصحافيها عن نشر مايحرض عليها ويسعر لهيبها يحل الاشكال وتصلح الحال من غير احتياج الى استنباط نظام جديد ولا الى الرجوع الى اثبات تدبيرات استثنائية واحتياطات ناقصة وبذا تزول الحروب وما شابهها من الشرور التي يخلقها الانسان بخطئه وسوء ظنه اه

وخلاصة القول مهما ظهر غريباً هي ان لا وسيلة لضمانة السلام بغير الرجوع الى ماينادينا ويجيبنا به الوجدان وذلك بسؤالنا عمن نحن ولماذا نعيش وعما يجب علينا عمله أو الامتناع عن فعله *

ذكر في هذا الفصل حلا لمشكلة الحرب بطريق تجمع كل فرد من افراد الامة بان يقوم كل فرد سائلا نفسه عن مهنته وعما خلق لاجله فتنحل بهذا مشكلة الحرب ويأتي السلم قال هذا وكأنه ماقرأ الكتاب المقدس في البشارات الواردة عن قيام الموعود حيث قد غيا هذه

الحروب بيوم مجيئه حيث يقول وهناك تطبع سيوفهم سككا ورماحهم مناجل الخ *

ان ابطال الحرب أمر ليس في قوة البشر لانه لا يتم ولا يكون أبدا الا اذا اجتمع الناس على أمر واحد وذهبت الاختلافات من بينهم * واتحدت الآراء المذهبيه فيهم * حتى تزول الاحقاد والضغائن الكامنة في نفوسهم من آثار الجدال والخصام والخروج عن طريق الجدال والتجاوز عن حد الاعتدال الذي يكون منشئا لانتهاء الامر أخيرا الى الحرب بالسهام بدل الرد بالكلام فاذا زالت هذه الاحن وامحت هذه المحن واتفق الناس بعد الفرقة واتحدوا بعد الاختلاف وجاء اليوم الموعود وتحققت هذه الوعود وقام من يدعو الناس لدين الله واجتمع الكل على تصديقهم اياه * فلا كلام اذ ذاك في السلام وتمت الوعود وانقضى ذلك الفساد المحدود * وقبل ذلك لا تنقضي حرب وتعيي الحيل صاحبها والهداية طالبها ولعل نفثتكم هذه أيها الفاضل مقدمة ظهوره *

وطلائع نوره فان شمس علومه تشرق من مغربكم * وتفيض أنوارها على مشرقنا كما أخبر بذلك نبينا عليه السلام حيث يقول وهو أصدق القائلين ﴿ من علامة قيام القائم طلوع الشمس من مغربها ﴾ وقد ظهرت العلوم العصرية من المغرب بعد ان خفيت عنه مدة لا علم فيه ولا شمس تشرق على ساكنيه * فالاصلاح حقيقة هو عبارة عن اصلاح الدين أولا * ويعود ذلك بالأصلاح المدني ثانياً * وينشأ منه ترك الحروب وتأليف القلوب والسلام

﴿ قال في الفصل السابع ﴾

ترجع أصول الداء الذي نتوجع منه الى أن أغلب الناس يعيش بغير دين يكون بمثابة المرشد الحكيم في أعمال الانسان الحيوية دين يدرأ الشبهات ويعين الحدود ويقرر الصلة بين الاله الاعظم وبين خلقه فيبين لهم في جميع مرافق المعاش وأعمال الحياة طريق الحق الذي ان أفلتوا عنه دحروا الى ماهو أسفل من مرتبة البهيم *

هذا الداء الذي نحن في صدد الكلام عنه يفشو اليوم

بقوة مخصوصة هي توجيه عنايتنا ومجهودنا الى مكتشفات العلوم ونبذنا الدين ظهريا حتى أصبح انسان هذا العصر ﴿في خسر﴾ نعم اننا لا ننكر ماله من نفوذ وسلطان على القوى الطبيعية لانها نتيجة درسه اسرارها ووقوفه على رموز خفاياها * لكن غياب الدين القويم المرشد الحكيم عند استخدام هذه السلطة حمله طبعاً على استعمال نفوذه في ارضاء أضعف طباعه وسد حاجة شهواته وصار مَثل الناس ﴿وقد استولوا على زمام الطبيعة وعاشوا من غير دين﴾ مثل أطفال أعطيت لهم من اللعب التي يتلهون بها غازات مفرقعة أو مواد قاتلة *

وكأني بالناظر الى النفوذ الذي يتمتع به الناس والى استخدامهم له يرى انهم لو بلغوا من درجات الرقى الادبي غاياتها لبطل حقهم في التمتع بالمخترعات الحديثة من سكك حديدية وبخار وكهرباء وتلفون وتلغراف لا سلكي بل لسقط حقهم في الاشتغال بالحدائد لان هذه التطبيقات العلمية والفنية لا تنتج لهم غير ارضاء مطالب زخرفهم

ولهوهم وخشائهم وابادة بعضهم بعضاً حتى يهلك النوع *
ولكن ماالعمل أيجب علينا ان نعرض عن جميع هذه الاختراعات التي امتزجت بوجودنا فاكتسبت بها الانسانية قوة وتمكيناً *
أيحتم عليها نسيان ماحفظت ان هذا الأمر محال لانه مهما أسيئ في استعمال النفوذ الانساني على الطبيعة فالناس لايستطيعون اهمال ماحصلوا عليه بواسطة هذا النفوذ *
أم يجب استبدال النظام الاجتماعي الذي تكوّن بعد الرقي الانساني أو اختراع نظامات للحكومات تمنع الاقلية من غش وخداع الاغلبية وهل يفيد انتشار التعليم دواء لهذا الداء *
قد جربت كل هذه الوسائط وما زال بعض الناس يختبرها بحماس على انها لن تأتي بالغاية المنشودة بل ربما ضلت الابصار وأعمت القلوب عن ضياعنا العاجل *
فلتغير حدود الممالك وتبدل النظامات وينتشر التعليم فالناس بين حدودهم ونظاماتهم ومعلوماتهم الجديدة

وحوش يتهيئون في كل لحظة للتقاطع والتدابر والتقاتل مادامت الشهوات هى التي تقود شؤنهم في هذه الحياة وما دامت نفوس الناس على ضربيهم الجاحد للدين والنابذ لبعض أصول الشرع القويم مملوء بحب الذات منقاداً للشهوات فأمثال هؤلاء لا ينقذون من الوحشية ولا يجدي في اصلاح حالهم الا الدين الذي يحررهم من رق هـذه الاباطيل ويرفعهم الى أعلى عليين ولكنهم نبذوه فكانوا هم الخاسرين اهـ

قد أبان فى هذا الفصل ان منشأ هذه المضار وشبوب نيران الحروب التي تمثـل فظائع الوحشية * وتظهر في أقبح مظاهر السفالة التي تنتهى اليها خسة الانسان هو ترك الدين وعـدم الانقيـاد لاوامره والعمل على مقتضي قوانينه وان دواء هـذا الداء العضال هو القيـام بآدابه والسير على مقتضي تعاليمه بعد ان ذكر عدة أدوية وأثبت بالاستقراء عدم صلاحيتها لحسم جرثومة هـذا الفساد الذي قد أضر بالعباد وأخرب البلاد * واني في هـذا

المقام لا أرى انتقاداً عليه الا بمقدار ما أغفل من الحث
على القيام باصلاح التعاليم الدينيه بقدر الامكان وتمييز
الصالح منها مما قد أدخل فيها وامتزج بها بفضل رؤساء
لا يفقهون وعلماء لا يعلمون حتى صار الناظر اليها لا يعرف
صحيحها من فاسدها ولا يرى من عباراتهم الا الحظر
على القوة العقليـة في ان تخوض بحار الفهم أو تلج باب
التفكر بل كل كلماتهم طافحة بان ليس للعقل مجال للفهم
فيها أو التدبر في معانيها فيضطر اذ ذاك من عنده روح
الحرية أو فكرة قويه أو فطرة من سخف دخيلهم
خليه الى رفض قانون هذا منتهى طلبه وغاية مطلبه وهو
مادعا طبيعيـة العصر ومتنورة وقتنا الى التهكم بالدين
والسخرية بالمتـدينين ظنا منهم ان الدين ماساد الا بين
قوم بسطاء لا يعرفون الا ما تلقنوه من أمهاتهم في حجور
مهدهم * وان بين العلم والدين مضادة لا يتفقان في مبدأ
ولا يتعاضدان في نشر فضيلة ولا يجتمعان في شخص
بل حامل العلم وطالب الحق هو من له حرية الفكر

وقوة الدراكه * وحامل الدين هو من رضخ وأذعن
لعوامل الوهم واستولى عليه الضعف في مداركه حتى صار
لا تميز عن الحيوان الا بمقدار تفاوت بعض افراده عن
بعض وترقي بعض الاشخاص عن الآخر وما ذاك الا
نتيجة الاهمال في اصلاح الدين والنظر في أصوله بما
يتوافق مع المسلمات والقطعيات وما يرونه بالاكتشاف
من البديهيات فان أصول الدين الصحيحة هي لا تخالف
العلم * ولا تباين العقل بل الدين والعقل متآزران على
تأييد الحقيقة وان أخص أوصاف الدين هي اطلاق
حرية الفكر للنظر فيما يؤول اليه حاله * والعمل لاصلاح
ما يكون اليه مآله * وما وصم الدين بهذه الرذائل الا
حاملوه وهم بالحقيقة جاهلوه * وأبعد الناس عن مراميه
والد أعدائه في وقوفهم عقبة وسدا منيعاً في طريق
نفوذه على ذوي النفوس السليمه والفطر الصحيحه * فما
على عقلاء الامم وكتابها المشهورين الا نداء الامة
بالجامعة الدينيه والعمل بما في الشرائع من الحكم والمصالح

الكافلة لنظام العمران بقدر ماتصل اليه قوة الانسان
بحيث يكون المرجع الوحيد عند ماتراد حقيقة أو تطلب
مصلحة هو أصل الدين النازل من السماء بقطع النظر
عن تأويل هؤلاء الدخلاء البعيدين عن درك سره وفهم
حقيقته المحجوبين بقشور ظواهره عن بواطن علمه فاذا
صلحت هذه التعاليم * وتلقاها بالقبول رؤساء التعليم
وسادت بين طبقات الانسان تلاشت الشرور وذهبت
شدة مضارها بين الجمهور * وان كان تمام الاصلاح
موقوفا على قيام من وعدتنا بمجيئه الكتب السماويه
وصرحت بعلاماته * وبينت آيات بشاراته الشرائع
الالهيه * فالواجب علينا في هذا الحال لنتدارك خلل
ماهدمه أولئك الجهال ان نمهد الطريق بتحرير العقول
للنظر في الكتاب بفصل الخطاب ونأخذ أحكامه من
محض بياناته ومحكم آياته ونطرح الآراء المذهبية
والتعصبات القوميه والعقائد التلقينيه فاذا جاء ذلك اليوم
كنا في استعداد للنظر في دليله لايمنعنا عنه تقليد ولا

بحجبنا عن سماع برهانه جمود ولا تقييد وبغير هذا الطريق لا فائدة في النداء ولا برء يرجى لهذا الداء ويذهب نداؤهم صيحة في واد أو نفخة في رماد والله الهادي الى سواء السبيل *

وحاصل ما أشرنا اليه وعولنا فى مقالنا عليه ان ضياع الدين مجلبة لكل الشرور والقبائح فلا يرجى لامة صلاح ولا يؤمل لها فلاح ولا يستقيم لها نظام * ولا يصح لها ذوق ولا يرق لها وجدان * ولا تميز الانسان من الحيوان الا بتمكن الآداب الدينيه من نفوسهم والتعاليم الشرعيه في قلوبهم ﴿ وما تسميه اليوم دعاة الاصلاح الكذبة من العلم العصري والرقي الحديث فجدير بان يسمى التأخر الدائم والانحطاط اللازم ﴾ أين التقدم والرقى الا في فساد الاخلاق وانتشار الرذائل والحال الذي أشغل الافكار * وأضنى الاجسام وجرح القلوب وقفل الباب في وجوه الطالبين للسعادة وأبد الشقاء على كل ذي حرفة وصناعة واشتد الزحام *

وندر الخير من أيدي الكرام* أين التقدم اني وأيم الحق لتتقد نيران الأسى والأسف في ضميري حينما أرى التكالب والتغالب بين الطبقات العاليه من الناس على لقمة صغيرة من الطعام لا يراعون حاجة ولا ينظرون محتاجا يموت الفقير جوعاً بين افراد عائلته وجميع قرابته ولا يجد معيناً ولا نصيراً ولا يجد لمخمصته من بينهم دافعاً تالله الحق اني أراني واعتقد نفسي شقياً حيث كانت ظروف حياتي هذه الظروف السيئة وأيام وجودي الايام التي تنبأت بشرورها الانبياء والمرسلون كما قال عليه السلام «سيأتي زمان على أمتي لا يبقى عندهم من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه يدعون الايمان وهم أبعد الناس عنه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان أشر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة واليهم تعود» الى آخر الحديث الذي جمع فيه كل هذه الصفات القبيحة التي نراها اليوم كلها واقعة * فما مقال «مثل تلستوي» في هذه الازمان باشد وقعاً

وأكثر دفعاً وأقوى تأثيراً من كلام الله وسنة نبيه في هذا الشأن حيث ترك الكتاب ظهريا والسنة نسياً منسياً وتسارع الناس الى اللهو والهوى * وتكالبوا وتخاصموا وتغالبوا وتحاربوا في دواعي الشيطان والغوى وكيف يمكن ابطال الحرب الآن ونحن بهذا الهوان وانك لو تصفحت الجرائم العظام لرأيت أسبابها أقل من ان تستوجب المشاغبة فضلا عن المقاتلة فلا يصل الانسان الى الغاية المطلوبة والراحة التي يرمي اليها الشارعون وينادي بها العلماء الراسخون * ولا يبطل الحرب من بينهم واضطرام نار العدوان فيهم مادام ترك الدين عادة مستحكمة لهم * وعقيدة راسخة فيهم * اللهم الا اذا أراد الله انجاز وعده وأبرز مافي مكنون سره وغيبه وأراد تجديد العالم بقيام مصلح الامم *

وباعث الرمم ومحيي الفضيلة من العدم

فذا شيء نكل أمره الى باريء النسم

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾

وحيث سبق القول بان الناس تعددت مذاهبهم واختلفت
مشاربهم في تشخيص الدواء الذي يقوم عليه بناء الاصلاح
ومن تلك المذاهب مذهب ﴿ الفوضى والاشتراك ﴾
وهو كغيره من المذاهب لا يشفي عليلا ولا يروي غليلا
بل هو أقرب الى جلب المفسدة وخراب العالم *
ولذلك لزم ان نشرح حقيقة أصل هذين المذهبين ونبين
مافيهما من العيوب والخلل *
فاعلم ان أول مؤسس المسئلة الاشتراكيه كما سمعته
من أحد كبار المتشرعين هو (لكوركا) ملك
أسپارته احدى مملكة يونان التي كانت منقسمة الى
حكومة آتينه وحكومة اسپارته * وهذا الملك العظيم له
قدم راسخ في السياسة ومن دهاة السياسين وكان في
مدة ملكه اغترب عن بلاده وصاح في الاقاليم السائرة
مدة مديدة ثم رجع الى بلاده وأسس قانونا ثابتاً متيناً

جامعاً للمسائل السياسيه * وقسم أهالي البلاد الى ثلاثة أقسام ﴿القسم الاول﴾ الاهالي الاصليون للبلاد وجعلهم مختصين بالفلاحة والزراعة * هذه مهنتهم وليس لهم حق في سائر الشئون فجعلهم يزرعون ويحصدون ويتكلفون أعطاء العشور ولا يتكلفون غير ذلك ﴿ثم القسم الثاني﴾ من أهالي البلاد وهم الغرباء يختصون بالصنائع والحرف والتجارة والمكاسب ولا يتكلفون الا اعطاء خراج مقطوع بحسب القانون الموضوع ﴿ثم القسم الثالث﴾ الذي هو عبارة عن السادة يسوسون البلاد ويسودون العباد وهم الامراء والوزراء والعمال ودعاة الرعية ويختصون بالحرب دون غيرهم * واذا وقعت الحرب هجوما ودفاعا فهؤلاء السادة يتحملون الكفاح والنزال في ميدان القتال ولا يكلف غيرهم الى الدخول في معمعة الحرب من القسمين الآخرين الا طوعا وحبا للقتال * ثم عدد نفوس السادة تماما فبلغت تسعة آلاف نسمة وقسم أراضي الاسبارته الى تسعة آلاف سهام وخصص سهاما متساوية

وخصص لكل فرد من السادة سهما من تلك السهام حتى ينتفع من خيره وريعه أي العشر الذي يؤخذ من ذلك السهم * فهذا التوزيع والاشتراك في الاراضي متساويا كان من القوانين التي وضعها ذلك الامير الجليل وأيضا أسس قوانين ماعدى هذا للأمور السائرة من العدلية والملكية والعسكرية والمالية حتى تربية الاطفال منذ نعومة الاظفار * ثم أحضر الأمة السادة بتمامها في المعبد الواسع العمومي بحسب دينهم القديم وحلفهم يمينا قويا ان لا يغادروا صغيراً ولا كبيراً من مسائل ذلك القانون بعد خروجه من اسپارته بل يثبتون على التمسك بالقوانين الموضوعة ولا يخلون بها حتى يرجع اليهم من سفره * فبهذه الايمان المؤكدة ربطهم ربطاً قوياً ثم ودعهم واعدالهم بالرجوع فخرج من البلاد ولم يرجع اليها حتى يكون القانون أبدي الاجراء وسرمدي القبول * وفدى ملكه وسلطانه وخيله وحشمه لسعادة ملته وبقي مجرداً عن جميع العلائق * فهذا الرجل الجليل أول شخص أسس

اشتراك الاملاك بين الامة السائدة في البلاد ولم ينجح هذا القانون مع ذلك بل اختل اختلالا تاما بعد ذلك ببرهة قليلة لان مسألة الاشتراك لا تنطبق على استعداد العباد ثم بعد ذلك افلاطون رأى هذا الرأي ولكن رجع عنه في أواخر أيامه الى ان آل الأمر في القرن السابق الى السلطة المفرطة المتطرفة للامراء ورؤساء الدين في بلاد أوروبا فلم تتحمل الرعية هذا الاعتداء العظيم والسلطة القاهرة لانها الساحقة لافراد الامة الدامغة للرعية القامعة لاساس المدنية السالبة للراحة العمومية * فظهر الاختلال والقتال في بلاد فرنسا وقام الجمهور على أولياء الامور والكهنة الذين كانت لهم السلطة الظاهرة على الشعوب عند ذلك تداولت الالسن مسائل شتى منها الاشتراك في الاموال وتفرعت منها المسائل وحصلت منها القلاقل ووقع ما وقع من القيل والقال بين أحزاب أوروبا * فهذا الرأي ينحدر كالسيل في قلوب الفقراء من الاهالي في الاقطار واشتهرت هذه المسألة في كل الديار فهذه مسألة مشكلة

لا تسعها الافكار لان الامتياز بين البشر أمر وجودي لا يكاد أن يزول هذا الامتياز ولو قامت القيامة في كل الانحاء والاقاليم الشاسعة الارجاء المترامية الاطراف انما يمكن وضع قوانين مهمة مطابقة للواقع خادمة للاعتدال بين افراد الانسان من حيث الاموال والاملاك ولا يمكن عند ذلك لرجل حصول ثروة طافحة كالحياض أو دافقة كالبحار ولا يمكن أيضاً ان الوفا من البشر يحتاجون لقطرة من الماء أو حبة من البيدر (لا افراط ولا تفريط) بل اعتدال بقدر ما يمكن من ضبط الامور ورعاية حقوق الجمهور

هذا ما سمعته من المشرع المذكور وهذا هو حقيقة منشأ مسئلة الاشتراك وانها وان كانت في الاصل وضعت وضعا صحيحا بين قوم محدود الا انها اختلت الى درجة لا تنطبق على مصالح الامم الكبيرة كسائر المسائل الاجتماعية التي اختلت بمرور الزمان

اذا تمهد هذا فنقول ان الفرق بين الفوضي * والاشتراك

ان الفوضي هي عدم النظام وعدم الرضى لقانون الانتظام ﴿ فالفوضوية ﴾ هم الذين يريدون ان يكون الانسان سابحاً في بحار الحرية المفرطة والحكومة تكون كحكومة القبائل في البادية تحت رئاسة شخص ليس له الا المراجعة لحل المسائل المشكلة دون ضبط وجيش وقوة نافذة في عموم القبيلة انما هو رجل ممتاز عن السائرين لانه مرجع لحل المسائل المشكلة في القبيلة

﴿ اما الاشتراكية ﴾ فهم الذين يعتقدون الانسان نوعا آخر غير الحيوان وفوقه في الحياة *

وله امتيازات في الجملة عن الحيوان بالتكاليف الشرعية والدخول تحت سيطرة قانون التسوية والحرية غير انه لا يجوز لاحد ايثار نفسه وتخصيصها بشيء من المباحات العامة والمنافع المشتركة التي سخرتها الطبيعة له ومنحتها لحياته وحاجاته قوة القادر المدبر للكائنات * فقد اشتركا حينئذ في اباحة الاشياء المشتركة لكل من في الانشاء وان اختلفا في جواز تقييد الانسان بقانون الانسانية

وعدمه وقد قامت في هـذه الازمنة طوائف يسمون أنفسهم زوراً بالمتمدنين ويدعون بهتانا انهم من المتنورين عقيدتهم الاباحة في كل الاشياء لكل الاحياء* والشركة في منافع الوجود لكل موجود * وانقسمت هذه الطوائف الى قسمين كبيرين قسم يدعى الفوضويين وهم الذين أفرطوا في اطلاق تقييد الانسان حتى في الاوامر الالهيه * والنظامات الدينيه * وقسم يدعى الاشتراكيين وهم الذين وقفوا في هذا الاطلاق على التسوية بين افراده في جميع ما على سطح البسيطة مما سواه بمعنى انه لا يجوز اختصاص واحد دون آخر بشيء مما يجوز امتلاكه بل الكل في الكل سواء وايثار البعض بالبعض ظلم واعتداء ونحن الآن في هذا المقام يكفينا ان نقيم البرهان على بطلان معتقد الاشتراكيين * ويبطل بالاولى مذهب الفوضويين فنقول *

﴿ اعلم ﴾ ان مذهب الاشتراك هذا مذهب لو ساد في العالم * وانتشر في عموم الدنيا لآل بهم الى الفناء والهلاك

ووصل بهم الى خراب هذا العمران * وتقوضت دعائم مابناه مشرعوا الاديان من الاصلاحات اللازمة لمعيشة الانسان في هذا العالم * فانه لو كانت كل الافراد سواء فيما يخرج من الارض مشتركين فيما يستخرج من المعادن وما يكتشف من مجهولاتها مستويين فيما يخترع من مصنوعاتها ويصنع من آلاتها بدون تمييز بين المستخرج والمستكشف والمخترع وبين غيره لاصبح كل الناس حلفاء القعود عن الاعمال واخوان البطالة والاهمال لم يسع أحد في استخراج مجهول ولم يجتهد في اختراع صناعة * ولم يعمل لاكتساب فضيلة ويؤول الحال الى العدم والزوال ويشتد النزاع والجدال ويضطرم بينهم نيران القتال وتتسع ميادين النزال ويذهب العالم ضحية هذه التسوية المشئومة والشركة المقوتة على انه عندنا دليل واضح مبين وبرهان ظاهر متين على بطلان هذه العقيدة ومضار عاقبتها بين الخليقة * ان الله تعالى خلق الانسان متفاوت الافراد مختلف العوائد باختلاف البلاد

متباين الاوصاف والآراء في المذاهب والمشارب * وبالجملة فهو نوع مشكك لا متواطئ في افراده * لا ينكر أحد التباين الظاهر بين فلاسفة العالم وحكماء الامم وبين برابرة افريقا وزنوج أمريكا * وهذا التخالف والتباين ذاتي وما بالذات لا يتخلف

ومن المعلوم المسلم ان الاعمال انما تصدر حسبما لكل من الاستعدادات وماله من تلك الصفات المتباينة المتخالفة المتعددة فيكون تسوية الكل في كل المنافع والمرافق قلب لحقائق الاشياء وأول مستحيل نراه قد تجلي في أقبح مظاهره فيستحيل قطعاً ويمتنع بتاتاً تسوية العالم أجمع في كل المرافق والحاجيات على ان التسوية المرادة عندهم ليست تسوية والحرية المرضية في رأيهم ليست كذلك بل هى نوع من أعظم أنواع الظلم * وأقبح موارد الاستبداد فان التسوية بين الاعمى والبصير والجاهل والخبير * والظلمات والنور * والظل والحرور * وذي الخير والشرور * وبين ذي الاعمال المفيدة فالآراء السديدة والمهمل من الاعمال

أو نتيجة الغيّ والضلال لفي نهاية الحماقة ومنتهى البله والسخافة ﴿وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أم هل يستوي الظلمات والنور * أم هل يستوي الاعمى والبصير * أم هل يستوي الاحياء والاموات﴾ تالله الحق لولم تكن التفرقة بين أنواع البشر بل بين افراده قانونا متبعاً وشريعة عامة وديناً نافذاً على كل الارادات المحكومة والحاكمة لكان ذلك القانون أشبه شيء بالجنون فان فطر الافراد * وحوائج العباد ليست متقاربة فضلا عن تساويها *

نعم اننا لا ننكر قانون الحرية * ولا نستقبح قاعدة المساواة بل انني من العاملين على نصره وتأييده الباذلين مافي وسعهم على اعلائه وتشييده ولكن بين الحرية الحقة والمساواة الصحيحة وبين ما يريده صاحب الاشتراك كما بين الصحة وعامل المرض الفتاك *

الحرية التي هي شأن من شئون الانسانية والمساواة التي تلزمها بالنظر الصادق والفكر السليم هي تسوية الافراد في

الامور العامة والمصالح الاجتماعية التي تستوجبها معيشة النوع في هيئتــه وراحته مع بني جنسه كلزوم العــدل لــكل فردوقبح الظلم مع كل شخص واعطاء كل قدر ما يستحقه من جليل أعماله أوضعة اهماله فلا نبخس نفيس هذا ونقوم بخس ذاك بل يلزم التسوية بين كل الطبقات كل حسبما له من جميل أو قبيح الصفات حتى لاتضيع فضيلة صحية الغرض في بخسها ولا تروج رذيلة بفضــل الاعتداء في رواجها *

هذا البخس هو الاستبداد المشؤوم والاعتداء المقوت الذي لو قام أي فرداً من أي الطبقات على استــقباحه والعمل على رخص آثاره واذهاب وجوده من الدنيــا للاقى من الجمهور تصفيقاً حاداً واستحساناً من العــموم لرأيه الصالح *

اننا لو أردنا تفسير الحرية بالمعنى اللائق بالانسان لانــكاد نجده في عالم الوجود فان الحرية الصحيحة هي تحرير الانسان من كل مايستولى عليه أوله أدنى تسلط على ارادته حتى في

طبائعه المنطوية بين جنبيه بحيث يكون له النفوذ المطلق
والارادة التي لا يعارض ابراز مقدورها قوة من القوى ولا
جندي من أعوان الهوى فهو اذا الملك المطلق الحاكم على
كل أمياله وشهواته المستولي على جميع أعدائه بشديد بأسه
وثباته وهو المستريح الكامل الذي جلس على كرسي
الراحة المؤبدة راحة لا يشوبها تعب وملك لا يعتريه زوال
وان تصرمت الآجال يستوي عنده الفقر والغنى والجوع
والشبع والمدح والذم والدعاء له أو عليه لان التفريق بين
هذه الاشياء انما هو للأميال المتعاقبة عليه المتنازعة فيه
وحيث انها صارت طوع ارادته وهو الذي يحكمها فلا
شأن لها ولا قوة تؤثر بها اذهى وآثارها ملك له ﴿ أقول ﴾
هذا ويخالجني انه لم يصادف قبولا بل ربما لم يدركه الا
من عرف مقدار هذه السلطنة الكبرى ودخل هذه
الجنة التي لا يظمأ من دخلها ولا يعرى فالحوم حول اسم
الحرية والمساواة والتطفل على موائد الاصلاح بدون
تحرير من ربقة قيود هذه القوى الحاكمة عليه هي

جعجعة تسمع ولا يرى لها طحناً ولنا من الدين بدل هذه الغوغاء غني فان الدين الصحيح هو الكفيل بهذه الاصلاحات والقائم بالحرية الصحيحة والنظامات الكاملة ومن أراد الاصلاح بغيره أخطأ المرمى وأصاب غرض الاعمى بيد اني أريد بالاصلاح الديني الصادر عن أساسه الصحيح الخالي عما أدخله الرؤساء من الفهم السقيم وأسدلوه على سنا ضيائه من ظلمات الليل البهيم * حتى صار كأنه عقبة في طريق التقدم أو عضة من معتنقه على أنامل الندم وهو ما آل اليه الآن أمر ديننا القويم بعد ان كان سراجا منيراً مصداق ما أنبأنا به رسولنا الكريم ونبينا العظيم عليه الصلاة والتسليم بقوله ﴿ لا تقوم القيامة حتى يلعن بعضكم بعضاً وحتى يكفر بعضكم بعضاً أو يكذب بعضكم بعضاً أو كما قال ﴾ مدينة علمه وابن عمه علي عليه السلام ﴿ سيأتي عليكم زمان ليس فيه من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه ﴾ الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ما وصل اليه الآن

طبائعه المنطوية بين جنبيه بحيث يكون له النفوذ المطلق والارادة التي لا يعارض ابرازمقدورها قوة من القوى ولا جندي من أعوان الهوى فهو اذا الملك المطلق الحاكم على كل أمياله وشهواته المستولى على جميع أعدائه بشديد بأسه وثباته وهو المستريح الكامل الذي جلس على كرسي الراحة المؤبدة راحة لا يشوبها تعب وملك لا يعتريه زوال وان تصرمت الآجال يستوي عنده الفقر والغنى والجوع والشبع والمدح والذم والدعاء له أو عليه لان التفريق بين هذه الاشياء انما هو للأميال المتعاقبة عليه المتنازعة فيه وحيث انها صارت طوع ارادته وهو الذي يحكمها فلا شأن لها ولا قوة تؤثر بها اذهي وآثارها ملك له ﴿ أقول ﴾ هذا ويخالجني انه لم يصادف قبولا بل ربما لم يدركه الا من عرف مقدار هذه السلطنة الكبرى ودخل هذه الجنة التي لا يظمأ من دخلها ولا يعرى فالحوم حول اسم الحرية والمساواة والتطفل على موائد الاصلاح بدون تحرير من ربقة قيود هذه القوى الحاكمة عليه هي

جعجعة تسمع ولا يرى لها طحناً ولنا من الدين بدل هذه الغوغاء غني فان الدين الصحيح هو الكفيل بهذه الاصلاحات والقائم بالحرية الصحيحة والنظامات الكاملة ومن أراد الاصلاح بغيره أخطأ المرمى وأصاب غرض الاعمى بيد اني أريد بالاصلاح الديني الصادر عن أساسه الصحيح الخالي عما أدخله الرؤساء من الفهم السقيم وأسدلوه على سنا ضيائه من ظلمات الليل البهيم * حتى صار كأنه عقبة في طريق التقدم أو عضة من معتنقه على أنامل الندم وهو ما آل اليه الآن أمر ديننا القويم بعد ان كان سراجا منيراً مصداق ما أنبأنا به رسولنا الكريم ونبينا العظيم عليه الصلاة والتسليم بقوله ﴿ لا تقوم القيامة حتى يلعن بعضكم بعضاً وحتى يكفر بعضكم بعضاً أو يكذب بعضكم بعضاً أو كما قال ﴾ مدينة علمه وابن عمه علي عليه السلام ﴿ سيأتي عليكم زمان ليس فيه من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه ﴾ الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ما وصل اليه الآن

الدين وما عليه أحوال المسلمين * فاللهم رحماك بمن أوعدتنا الاصلاح على يديه حتى يقوم بقدرة منك ما أعوج من معالمه ويزين ماشان من محاسنه انك أنت اللطيف الخبير وانك أنت المقتدر القدير *

والحاصل ان من لوازم سعادة الامم * وانتظام العالم ترك المحاربات وأجراء الصلح الاكبر وهذا لازم وواجب ليفرغ الناس ويتخلصوا من مصاريفها الباهظة وتحفظ لهم أرواح طاهرة كانت تزهق في المحاربات وتصرف تلك الاموال التي كانت تضيع فيها وتشغل الرجال التي كانت تزهق وتعدم بسببها في نصرة العلوم وتقدم المعارف التي بها سعادة العالم * وانتظام الامم *

فحينئذ تظهر البشارات الالهيه والاخبار التي بشرت الانبياء بها وتشرق الارض بنور ربها *

ومنها أيضاً توحيد اللغة وانحصارها في لغة واحدة ليوفروا الاوقات التي كانت تصرف في تعليم تلك اللغات

المختلفة وتسهل لهم الاسفار والانتقال الى أيّ بلد أرادوا فيكون لهم العالم كوطنهم ومسقط رأسهم وكأنهم نزلوا بين أهلهم وعشيرتهم فيمكنهم الافادة والاستفادة من بعضهم من غير احتياج الى ترجمان *

ومنها اجراء التشبث باسباب الالفة والمحبة والاتحاد بين العالم * وتأليف قلوب الامم *

ومنها السعي والجهد في تحسين الزراعة والتجارة * وجميع ماتتوقف عليه الراحة والسعادة البشرية

ومنها تعيين جزء مما يكتسبونه رجالا ونساء
من الزراعة والتجارة وغيرهما لاجل
تعليم الاولاد وتربية الاطفال *

والسلام على صانعي السلام
وباني هيكل
الوفاق والوئام

Date	No.	Date	No.